وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education & Scientific Research

مجلة السلام الجامعة
Journal of Alsalam University
علمية محكمة
للعلوم الانسانية

مجلة السلام الجامعة

مجلة فصلية محكّمة للعلوم الإنسانية

تُصدرها كلية السلام الجامعة

العدد الثامن عشر

الرقم الدولي للمجلة

ISSN (2522 – 3402)

https://www.iasj.net/iasj/journal/378

كانون الاول
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق:
(2127) لسنة 2015 ميلادية

مجلة

السلام الجامعة

مجلة فصلية محكمة للعلوم الإنسانية

تُصدرها كلية السلام الجامعة

مجلة

السلام الجامعة

مجلة فصلية محكمة للعلوم الإنسانية

تُصدرها كلية السلام الجامعة

العدد ١٨

الرقم الدولي للمجلة

ISSN (2522 – 3402)

https://www.iasj.net/iasj/journal/378

١٤٤٦ هـ كانون الاول ٢٠٢٤ م

حقوق النشر محفوظة

- الحقوق محفوظة للمجلة.
- الحقوق محفوظة للباحث من تاريخ تسليم البحث إلا في حالة تنازله خطياً.

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

[التوبة: ١٠٥]

١-اسم المجلة: مجلة السَّلام الجامعة
٢-اختصاص المجلة: العلوم الإنسانية والتطبيقية
٣-جهة الاصدار: كلية السَّلام الجامعة
٤-الموقع الالكتروني: www.alsalam.edu.iq
٥-البريد الالكتروني: journal@alsalam.edu.iq

المراجعة اللغوية:

أ.م.د. سعيد عبد الرضا خميس / اللغة العربية
أ. طارق العانى / اللغة الإنكليزية

الاشراف الطباعي والالكتروني:

أ.م.د. يوسف نوري حمه باقي

لغة النشر:

اللغة العربية، اللغة الإنكليزية

التحكيم العلمي:

البحوث التي تقبل للنشر في المجلة تعرض على أساتذة خبراء متخصصين تختارهم هيأة تحرير المجلة

مجالات التوزيع:

جمهورية العراق، والدول العربية، والدول الأجنبية على سبيل التبادل الثقافي والعلمي

مصادر التمويل: ذاتية

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية : **(2127)** لسنة **2015** ميلادية
الرقم الدولي للمجلة : **(3402 – 2522) (ISSN)**.

رئيس التحرير:

أ.د. عبد السلام بديوي يوسف الحديثي / عميد الكلية

نائب رئيس التحرير

أ.د. صبيح كرم زامل موسى الكناني / معاون العميد للشؤون العلمية

مدير التحرير:

أ.م. د. أحمد عباس محمد/ التخصص: فلسفة أصول الدين

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية/ كلية السلام الجامعة

هاتف مدير التحرير :

٠٧٧١٠٠٤٥٥٦٦

هيئة تحرير مجلة كلية السلام الجامعة

١. الأستاذ الدكتور عبد السلام بديوي يوسف الحديثي / Professor Dr. Abdul Salam Badiwi Yousef Al-Hadithi
لغة عربية ـــ عميد كلية السلام الجامعة / رئيس التحرير
٢. الأستاذ الدكتور صبيح كرم زامل موسى الكناني / Professor Dr. Sabih Karam Zamil Musa Al-Kanani
إدارة تربوية ـــ معاون العميد للشؤون العلمية ـــ كلية السلام الجامعة / نائب رئيس التحرير
٣. الأستاذ المساعد الدكتور أحمد عباس مُحَمَّد / Assistant Professor Dr. Ahmed Abbas Mohamed
فلسفة أصول الدين ـــ كلية السلام الجامعة / مدير التحرير
٤. الأستاذ الدكتور محسن عبد علي الفريجي / Professor Dr. Mohsen Abdel Ali Al-Fariji
علوم جغرافية ـــ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ العراق
٥. الأستاذ الدكتور كامل علي الويبة / Professor. Dr. Kamel Ali Al-Weba
علوم تاريخ ـــ جامعة بنغازي/ ليبيا
٦. الأستاذ الدكتور عبد الله بلحاج / Professor Dr. Abdullah Belhaj
لغة عربية ـــ جامعة سوسة / تونس
٧. الأستاذ الدكتور حنان صبحي عبد الله / Professor Dr. Hanan Sobhi Abdullah
تخطيط ستراتيجي ـــ مركز البحوث / بريطانيا
٨. الأستاذ المساعد الدكتور يوسف نوري حمه باقي /Assistant Professor. Dr. Yousef Noori Hama Baqi
فلسفة في الشريعة الإسلامية ـــ فقه مقارن، قسم الشريعة ـــ كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد
٩. الأستاذ الدكتور عبد الله هزاع علي الشافعي / Professor. Dr. Abdullah Hazza Ali Al-Shafi'i
علم النفس الرياضي /كلية السلام الجامعة
١٠. الأستاذ الدكتور ماجد مطر عبد الكريم / Professor Dr. Majid Matar Abdel Karim
كلية السلام الجامعة
١١. الأستاذ الدكتور ردينة مطر عبد الكريم / Professor Dr. Rudina Matar Abdel Karim
كلية السلام الجامعة
١٢. الأستاذ المساعد الدكتور إبراهيم راشد الشمري / Assistant Professor Dr. Ibrahim Rashid Al-Shammari
إدارة أعمال تنمية بشرية /كلية السلام الجامعة
١٣. الأستاذ المساعد عنيد ثنوان رستم / Assistant Professor. Anaid Thanwan Rustom
رئيس قسم المالية والمصرفية /كلية السلام الجامعة

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الطاهرين وصحبه أجمعين، وبعدُ:

بين يديك عزيزي القاريء: **العدد الثامن عشر** من «مجلة السّلام الجامعة» التي نهضت كالعنقاء من بين الركام وليداً شرعياً جامعياً بين أخواتها المجلات العلمية التي تعتمد المستوعبات العلميّة العالمية أحد أهم الجوانب في حساب المعدل التراكمي لتصنيف الجامعات والكليات في العالم. يحمل العدد بين طياته بحوثاً ودراساتٍ من نتاج أساتذة الكلية وعددٍ من الباحثين من خارجها، تخص موضوعات تتعلق بتخصصات الكلية (العلمية والإنسانية) وهي تعالج موضوعات حيوية تتعلق بحياة الفرد والمجتمع بشكلٍ علميّ منهجي، نرجو أن ينتفع منه المختصون والدارسون والمعنيون بالاختصاصات التي تنهض بها كلية السلام الجامعة، وطلبة الدراسات العليا وغيرهم داخل العراق وخارجه. ونرى من المناسب ونحن نصدر هذا العدد أن نقدّم شكرنا وتقديرنا العالي إلى السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي على الدعم الذي قدّمه للتعليم الجامعي الأهلي، ونشكر كذلك السادة الباحثين الذين أسهموا في هذا العدد، وندعو الباحثين والمختصين إلى رفد المجلة والإسهام في أعدادها القادمة... ومن الله التوفيق والسداد وللعلم والعلماء الموفقية والازدهار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د. عبد السلام بديوي يوسف الحديثي
عميد الكلية

دليل المؤلفين

١. تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تقع ضمن مجال تخصصها العلمي.

٢. أن يتسم البحث بالأصالة، والجدة، والقيمة العلمية، وسلامة اللغة، ودقة التوثيق.

٣. يمنح المؤلف الحقوق للمجلة بالنشر، والتوزيع الورقي والإلكتروني، والخزن، وإعادة استعمال البحث.

٤. أن يكون البحث مطبوعاً على الحاسوب بنظام (**office word 2010**) على قرص ليزري مدمج (**CD**) على شكل ملف واحد، وتزوّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية، ويمكن إرسال البحوث عبر بريد المجلة الإلكتروني.

٥. أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (**A4**).

٦. يُكتب في وسط الصفحة الأولى من البحث ما يأتي:

أ. عنوان البحث باللغة العربية.

ب. اسم المؤلف باللغة العربية ودرجته العلمية، وشهادته، وجهة انتسابه.

ت. بريد المؤلف الإلكتروني.

ث. الكلمات المفتاحية.

ج. ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانكليزية، يوضعان في بدء البحث على أن لا يتجاوز الملخص الواحد (٢٥٠) كلمة.

٧. يكتب عنوان البحث في وسط الصفحة بحجم خط (١٦) **Bold**.

٨. يكتب اسم المؤلف في وسط الصفحة بحجم خط (١٢) **Bold**.

سياسة النشر

١. أن لا يكون البحث جزءاً من بحث سابق منشور، أو من رسالة جامعية قد نُوقِشَتْ، ويقدم الباحث تعهداً بعدم نشر البحث أو عرضه للنشر في مجلة أخرى.

٢. يشترط لنشر الأبحاث المستلة من الرسائل والأطاريح الجامعية موافقة خطية من الأستاذ المشرف وفقاً للأنموذج المعتمد في المجلة.

٣. يُبلغ المؤلف بقرار صلاحية النشر أو عدمها في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من تاريخ وصوله إلى هيأة التحرير.

٤. يلتزم المؤلف بإجراء تعديلات المحكّمين على بحثه وفقاً للتقارير المرسلة إليه، ومن ثم موافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة أقصاها (١٥) خمسة عشر يوماً.

٥. لا يحق للمؤلف المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ كتاب قبول النشر.

٦. لا تُعاد البحوث إلى مؤلفيها. سواء قُبلت أم لم تُقبل.

٧. يخضع البحث للتقويم السرّي من خبيرين لبيان صلاحيته للنشر.

٨. يدفع المؤلف أجور النشر البالغة (١٢٥,٠٠٠) مائة وخمسة وعشرين ألف دينار عراقي من داخل العراق، و(١٥٠) دولاراً من خارج العراق.

٩. يحصل المؤلف على نسخة من المجلة المنشور فيها بحثه.

١٠. تعبّر البحوث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

١١. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من الشروط.

١٢. تلتزم المجلة بفهرسة ورفع البحوث التي تُنشر في المجلة في موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية **www.iasj.net**

دليل المقوِّمين

١. يُرجى من المقوم قبل الشروع بالتقويم، التثّبت من كون البحث المرسل إليه يقع في حقل تخصصه العلمي لتتم عملية التقويم.

٢. لا تتجاوز مدة التقويم (١٠) أيام من تاريخ تسلّم البحث.

٣. تذكر المقوِّم إذا كان البحث أصيلاً ومهما لدرجة تلتزم المجلة بنشره.

٤. يذكر المقوِّم مدى توافق البحث مع سياسة المجلة وضوابط النشر فيها.

٥. يذكر المقوِّم إذا كانت فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة، وتتم الاشارة إليها.

٦. يحدّد مدى مطابقة عنوان البحث لمحتواه.

٧. بيان مدى وضوح ملخص البحث.

٨. مدى إيضاح مقدمة البحث لفكرة البحث.

٩. بيان مدى عملية نتائج البحث التي توصّل إليها الباحث.

١٠. تجري عملية التقويم بنحو سري.

١١. يُبلغ رئيس التّحرير في حال رغب المقوِّم في مناقشة البحث مع مقوِّم آخر.

١٢. تُرسل ملاحظات المقوِّم إلى مدير التحرير، ولا تجري مناقشات ومخاطبات بين المقوِّم والمؤلف بشأن البحث خلال مدّة تقويمه.

١٣. يبلّغ المقوِّم رئيس التحرير في حال تبيّن للمقوِّم أن البحث مستل من دراسات سابقة، مع بيان تلك الدراسات.

١٤. يُحدد المقوِّم العلمي بشكل دقيق الفقرات التي تحتاج إلى تعديل من المؤلف.

١٥. تعتمد ملاحظات وتوصيات المقوِّم العلمي في قرار قبول النشر وعدمه.

تعهد نقل حقوق الطبع والتوزيع

إني الباحث .....

صاحب البحث الموسوم بـ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهد بنقل حقوق الطبع والتوزيع والنشر إلى مجلة (السلام الجامعة).

التوقيع:

التاريخ:

تعهد الملكيّة الفكريّة

إني الباحث .....

صاحب البحث الموسوم بـ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهد بأن البحث قد أنجزته، ولم يُنشر في مجلة أخرى في داخل العراق أو خارجه، وأرغب في نشره في مجلة (السلام الجامعة).

التوقيع:

التاريخ:

عناوين البحوث المقدمة لمجلة الكلية

ت	الباحث	عنوان البحث	رقم الصفحة
١.	م.د. سبأ مُحَمَّد علي يوسف	توظيف سد الذرائع في بناء الفقه ومقتضيات ربط الشرع بواقع المكلف	١-١٤
٢.	أ.م.د. سولاف مصحب مهدي أحمد	دور الرواية في مواجهة المخدرات رواية "الزفت الأبيض" لماريا دعدوش أنموذجًا	١٥-٥٢
٣.	أ.م.د. بيسان خالد علي مصطفى	تجليات الريف في رواية تغريبة القافر لزهران القاسمي / دراسة سردية	٥٣-٧٣
٤.	م.د. أحمد إبراهيم حسن علي	حكم تملك لقطة الحرم المكي / دراسة فقهية مقارنة	٧٤-٩٢
٥.	م.د. وابله مهدي مُحَمَّد أحمد العجيلي	دور جامعة الدول العربية في أوضاع المغرب حتى عام ١٩٥٦	٩٣-١١٢
٦.	الدكتور اياد علي سالم المساري	شبهات عقدية حول السنة النبوية والرد عليها لشيخ الإسلام مصطفى صبري	١١٣-١٢٧
٧.	م.د. إيناس عباس صالح	إشكالية الأب في الرّواية العربية المعاصرة / الخندق الغميق، أنت منذ اليوم، تجليات	١٢٨-١٤٧
٨.	م. د. سعدون ظاهر شويش العيساوي	العلاقات الدلالية في تفسير فصيح البيان لفصيح الدين الحيدري (ت١٣٠٠هـ)	١٤٨-١٧٥
٩.	م. د. صهيب مُحَمَّد فهد الكبيسي	رسالة في حق الوشم للإمام عالم مُحَمَّد بن حمزة كوزلحصاري الآيديني المعروف بحاجي بأمير زاده المتوفى بعد سنة (١١٢١هـ) دراسة وتحقيق	١٧٦-١٩٠
١٠.	م.م. خالد جمال اسماعيل م.د. خضير عباس ضاري	دور البث الفضائي في تَعزِيز ثَقافَة المواطنة لَدى طَلبَة الجامعات العراقيةَ (دِراسة مَسحِية)	١٩١-٢١٤
١١.	م.م. فراس فاضل عجم الدراجي	ألفاظ الحسرة في القرآن الكريم وأثرها في حياة البشرية	٢١٥-٢٣٧
١٢.	الباحث: أحمد إبراهيم حسين مُحَمَّد أ.م.د. عامر ياسين عيدان	حاجي حفظ الدين فيما نقله ابن عبد البر من اجماعات في كتابه "التمهيد"	٢٣٨- ٢٥٨
١٣.	الباحث: عدي ذياب ضاري المعيني	أثر نقص الأهلية على الإجراءات الجنائية	٢٥٩-٢٨٢
١٤.	عدنان خضير عباس أ.م. د ايسر ياسين فهد	أثر وسائل الدفع الالكتروني على عرض النقود في العراق للمدة (٢٠١٧-٢٠٢٢)	٢٨٣-٢٩٧

١٥.	م.د. علي عيسى جاسم	دور القيادة الاستراتيجية في تنشيط قدرات المرشد السياحي بحث وصفي تحليلي لآراء عينه من المدراء والموظفين للشركات السياحية في العاصمة العراقية بغداد	٣٢٠-٢٩٨
١٦.	م.د. حسن عودة غضاب	أثر تقانة المعلومات وانعكاسها في ادارة الازمات الفندقية / بحث وصفي تحليلي لآراء عينة من الموظفين في فنادق الدرجة الممتازة في العاصمة العراقية ـــ بغداد	٣٤١-٣٢١
١٧.	الباحثة: رحاب زهير لازم	الأسس الّتي استند إليها القائلون بثنائيّة الجذر	٣٧٠-٣٤٢
١٨.	مُحَمَّد رضا علي ألبوسراية	آثار القوة القاهرة على المسؤولية المدنية	٣٩٧-٣٧١
١٩.	أ.م.د. أحمد مُحَمَّد محمود المشهداني	مرويات الصحابي صفوان بن عسال المرادي / جمعاً ودراسة	٤٢٨-٣٩٨
٢٠.	م.م. إيمان جاسم مُحَمَّد علي	التَّأْويلُ النَّحْوي بينَ القُدَماء والمُحْدَثين	٤٤١-٤٢٩
٢١.	م.د. إسراء حسن خلف	مدلول الجُناح في المنظور القرآني	٤٦٤-٤٤٢
٢٢.	أ.م.د. مصطفى كاظم محمود	المصلحة وأثرها في الاستثمار بالمصارف الإسلامية	٤٨٥-٤٦٥
٢٣.	م.د. ايناس نوري طه	ذو السيفين أبو الهيثم مالك بن التيهان	٥٠٣-٤٨٦
٢٤.	م.م. ابتهال عادل عبد الله	ميول السَّياب للمرأة / دراسة على وفق المنهج الاجتماعي	٥١٨-٥٠٤
٢٥.	أ.م.د. أحمد خالد محمود عبد	موافقات ابن عادل للفرّاء من خلال كتابه اللُّباب	٥٣٥-٥١٩
٢٦.	أ.م.د. علي جميل طارش عبد السعيد	العادة في أصول الفقه	٥٥١-٥٣٦
٢٧.	الباحثة: هزار حسن حلو أ.م.د. هناء مُحَمَّد حسين	الديون المتعثرة ومعالجتها عند الشيخ مُحَمَّد إسحاق الفياض (دام ظله)	٥٦٨-٥٥٢
٢٨.	م.د. مصطفى سامي نافع	الربا وآثاره في المجتمع	٥٩٥-٥٦٩
٢٩.	م.د. مروة عمر مرسي	دراسة المخاوف الاجتماعية لدى طلاب وطالبات قسم التربية الرياضية /كلية السلام الجامعة	٦٠٦-٥٩٦
٣٠.	الباحث: نمير عباس عبد الأمير أ.م.د رغد حسن علي السراج	طرق الكشف عن المقاصد وضوابط اعمالها	٦١٦-٦٠٧

دور الرواية في مواجهة المخدرات رواية "الزفت الأبيض" لماريا دعدوش أنموذجًا

The role of the novel in confronting drugs The novel (White Asphalt) by Maria Dadoush is an example

أ.م.د. سولاف مصحب مهدي أحمد

Assistant Professor Dr. Sulaf Mushab Mahdi

جامعة النهرين/ كلية العلوم السياسية

Al-Nahrain University / College of Political Science

Sulaf_m.mahdi@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: المخدرات، الزفت الأبيض، رواية، الفتيان، اليافعين

Keywords: drugs, white Asphalt, novel, boys, teenagers.

ملخص البحث

تشكل المخدرات إحدى أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات اليوم، فهي لا تهدد صحة الأفراد وحياتهم فحسب، بل تمس بنية المجتمع واستقراره، وفي ظل تفاقم هذه الظاهرة بات دور الرواية كأداة توعوية وإرشادية أكثر أهمية من أي وقت مضى، عبر السرد القصصي يتمكن الأدب من مخاطبة الشباب الفئة الأكثر استهدافًا من لدن تجار المخدرات عبر تقديم قصص وشخصيات وأحداث تعكس واقع عالم المخدرات، في هذا السياق تبرز أهمية رواية (الزفت الأبيض) للكاتبة ماريا دعدوش كأنموذج لرواية معاصرة تسلط الضوء على قضية المخدرات وتأثيرها في الشباب والمجتمع، عبر رحلة الشاب (كنان) وهو يروي تجربته القاسية وكيف تحول من شاب رائع وملتزم – يحلم بأن يصبح إعلاميًا مشهورًا – إلى مدمن وسارق ومروج للمخدرات، واستعرض البحث الرسائل التوعوية التي تبنّتها الرواية عبر تحليل بنيتها السردية من عتبات نصية وشخصيات وأحداث، وقد أظهر البحث قدرة الرواية على تعزيز الوعي بين فئة الشباب واليافعين من خلال أسلوب سردي درامي واقعي جعلها وسيلة فعّالة في التوعية بمخاطر المخدرات وبناء مجتمع صحي.

Abstract

Drugs are one of the biggest challenges facing societies today. They not only threaten the health and lives of individuals, but also affect the structure and stability of society. In light of the exacerbation of this phenomenon, the role of the novel as an awareness and guidance tool has become more important than ever. Through narrative storytelling, literature can address young people, the group most targeted by drug dealers, by presenting stories, characters and events that reflect the reality of the world of drugs. In this context, the importance of the novel (White Tar) by the writer Maria Daadoush emerges as a model for a contemporary novel that sheds light on the issue of drugs and their impact on young people and society, through the journey of the young man (Kenan) as he narrates his harsh experience and how he transformed from a wonderful and committed young man - dreaming of becoming a famous media figure - into an addict, thief and drug dealer. The research reviewed the awareness messages broadcast by the novel by analyzing its narrative structure of textual thresholds, characters and events. The research demonstrated the novel's ability to enhance awareness among young people and adolescents through a realistic dramatic narrative style that made it an effective means of raising awareness of the dangers of drugs and building a healthy society. Drugs are one of the biggest challenges facing societies today. They not only threaten the health and lives of individuals, but also affect the structure and stability of society. In light of the exacerbation of this phenomenon, the role of the novel as an awareness and guidance tool has become more important than ever. Through narrative storytelling, literature can address young

people, the group most targeted by drug dealers, by presenting stories, characters and events that reflect the reality of the world of drugs. In this context, the importance of the novel (White Tar) by the writer Maria Daadoush emerges as a model for a contemporary novel that sheds light on the issue of drugs and their impact on young people and society, through the journey of the young man (Kenan) as he narrates his harsh experience and how he transformed from a wonderful and committed young man - dreaming of becoming a famous media figure - into an addict, thief and drug dealer. The research reviewed the awareness messages broadcast by the novel by analyzing its narrative structure of textual thresholds, characters and events. The research demonstrated the novel's ability to enhance awareness among young people and adolescents through a realistic dramatic narrative style that made it an effective means of raising awareness of the dangers of drugs and building a healthy society.

المقدمة

تعد آفة المخدرات من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمعات وتحتاج إلى تضافر جميع الجهود أفرادًا ومؤسسات ولعل أكثر الفئات استهدافًا ووقوعًا في شرك المخدرات هم الشباب والناشئة، ويؤدي الأدب ولاسيما الرواية دورًا مهمًا في تنمية الوعي المجتمعي كونها تتوجه إلى أصناف مختلفة من القراء على مختلف أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية إذ تمارس الرواية التوعية عبر بنيتها السردية من خلال طبيعة الشخصيات وحواراتها أو الأحداث وغلبة منطقها على منطق الشخصيات فدور الرواية بخطورة المخدرات هو دور وقائي إرشادي ، ومن خطورة المخدرات تأتي أهمية هذا البحث فهو جزء من تحملنا – بوصفنا أكاديميين ونقاد – لمسؤولية مواجهة تلك الآفة وضرورة توجيه البحث العلمي الأكاديمي بمختلف تخصصاته لتجنيب الشباب والمجتمع منها، وإيماننا الشخصي بأهمية دور الأدب ولاسيما الرواية في تنمية الوعي المجتمعي.

يهدف البحث إلى تحليل دور الرواية في توعية المجتمع –ولاسيما اليافعين– بمخاطر المخدرات، واستكشاف كيف عكست رواية (الزفت الأبيض) قضية إدمان المخدرات، ويهدف إلى تحديد الرسائل التوعوية التي تحملها الرواية وكيف جسدتها فنيًا وتأثيرها المحتمل في القارئ.

وينطلق البحث من إشكالية هي : كيف يمكن للرواية أن تسهم في مكافحة المخدرات ونشر الوعي حول مخاطرها؟ عبر دراسة أنموذج لهذه الروايات وهي رواية (الزفت الأبيض) لماريا دعدوش، أما منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي: تحليل الرواية فنيًا لاسيما الأحداث والشخصيات، وتفسير الرسائل والدلالات التي تقدمها فيما يتعلق بمكافحة المخدرات.

التمهيد: الكاتبة ماريا دعدوش ورواية (الزفت الأبيض)

ماريا دعدوش كاتبة سورية من مواليد ١٩٧٠ تقيم اليوم بين الولايات المتحدة الاميركية وسوريا، درست الكتابة الإبداعية في جامعة كاليفورنيا– لوس انجلس، روائية وكاتبة للأطفال واليافعين، محررة ومدرِّسة لفن الكتابة الإبداعية، أسهمت بإنشاء مجلة فلة للفتيات عام ٢٠٠٥ التي لاقت رواجًا كبيرًا في البلدان العربية وكتبت فيها عشرات القصص والمقالات.

صدر لماريا خلال السنوات الماضية العديد من روايات اليافعين والفتيان والقصص المصورة باللغتين العربية والأنكليزية، كما ترجمت بعض أعمالها إلى لغات أخرى، مثل (ذبابة طارت فوق البركة) ورواية (أريد عيونا ذهبية) الحائزة على المرتبة الأولى في جائزة عبد الحميد شومان لرواية الخيال العلمي التي ترجمتها جامعة أوستن في تكساس إلى اللغة الإنجليزية، و (جدتي سنية لا تخبز الحلويات)،و (أبي عندي سؤال)، و(لا نستطيع بعد) وغيرها.

كما كتبت ماريا العديد من الكتب المصورة للأطفال والتي حصل الكثير منها على التكريم، مثل كتاب (أنا وهو) الذي حاز على جائزة الملتقى العربي لناشري كتب، وكتاب (أريد أمًّا أخرى)، كما ظهرت كتبها المصورة على القوائم القصيرة لجوائز مهمة مثل كتاب (بنطالي قصير علي) الذي ظهر على قوائم (جائزة الاتصالات) الذي اختارته قائمة white Raven) (، وظهر كتابها (لا نستطيع بعد) على القائمة القصيرة لجائزة الملتقى لناشري كتب الأطفال. و قدّمت الكاتبة دعدوش دورات ودروسًا في الكتابة الإبداعية برعاية (منصة عصافير) في دولة الإمارات لتدريب النساء على الكتابة.

درست الكتابة الإبداعية في جامعة لوس انجلس. حازت على جائزة Claire Carmichael الأميركية للرواية، كان لها شرف حيازة زمالة Women Authoring Change Fellowship 2016 وجائزة كتارا للرواية العربية عام ٢٠١٨ عن روايتها (كوكب اللامعقول)، تعيش بين سوريا وأمريكا. وتقوم بإعطاء محاضرات عن تعلم الكتابة الإبداعية على منصة "إدراك"، إذ يتابعها ما يزيد عن ٨٠ ألف متعلم.

حازت ماريا على جائزة الشيخ زايد للكتاب ٢٠٢٢، كما حازت على جوائز عديدة مثل جائزة كتارا للرواية العربية، وجائزة عبد الحميد شومان لرواية الخيال العلمي، وجائزة "خليفة"، وجائزة الملتقى العربي للناشرين مرتين، وجائزة DayBreak لقصص الأطفال، ومنحة Claire Carmichael

للرواية في الولايات المتحدة الأميركية، كما ظهرت كتب ماريا على القوائم القصيرة لجوائز عديدة مثل جائزة الاتصالات وجائزة ملتقى الناشرين.

نشرت ماريا دعدوش أيضا أكثر من ستين كتابا للأطفال واليافعين في العالمين الغربي والعربي وتمت ترجمة العديد منهم للغات أخرى. بسبب أعمال ماريا المتميزة استضافتها العديد من منتجعات الكتابة مثل OMI شمال نيويورك، و Hedgebrook قرب سياتل، أما في العالم العربي فشاركت في ندوات في مهرجانات للأدب مثل الشارقة القرائي ومهرجان طيران الإمارات للآداب، وفي معارض الكتب مثل معرض الرياض ومعرض (أبو ظبي) كما شاركت في تحكيم مسابقات عديدة.

رواية (الزفت الأبيض)

تحكي الرواية قصة شاب اسمه (كنان) في سن السابعة عشر من عمره يعيش مع أبيه بعد أن انفصل والداه وهو في سن السادسة لتذهب أمه عند أهلها في الكويت وتتزوج بعد ذلك وتنجب طفلين توأم، فتولى أبوه مهمة تربيته ورعايته دون تذمر أو ملل وهذا ما جعل علاقته بأبيه مميزة وقوية، وتربط (كنان) بأبيه وصديقه (قيس) صداقة رائعة إذ يقضون معظم وقتهم معًا يطهون الطعام ويأكلون ويذهبون جميعًا إلى المدرسة بسيارة (قيس) ؛ لأن والد (كنان) يعمل ممرضًا في مستوصف المدرسة نهارًا وفي المستشفى ليلًا، وينشئ (كنان) قناته على الفيسبوك (برتقالي – أحمر) فيكثر متابعوه من الشباب اليافعين فضلًا عن بزوغ نجوميته في دوري المدارس لكرة القدم، ويحلم كنان بأن يصبح الإعلامي الأشهر على صعيد الوطن العربي ويشتري لوالده مشفىً خاصًا يداوم فيه ساعة أو ساعتين، كانت حياة (كنان) مستقرة ودافئة فقد كان يشعر وهو يطهو (الصيادية) ويجلس مع أبيه وقيس لتناولها على مائدة مطبخهم الصغيرة والمستديرة أن الحياة لا يمكن أن تكون أفضل من ذلك، إلا أن جاء ذلك اليوم الذي انقلبت فيه حياته عندما رسب في مادة الفيزياء؛ مما يعني حرمانه من اللعب مع فريق المدرسة لكرة القدم الذي يعتمد عليه في الفوز، إذ لا يسمح لأي طالب اللعب في فريق المدرسة إذا رسب بإحدى المواد الدراسية، استغل زميله (غالي) في المدرسة عصبيته وغضبه ليوهمه بتناول سيجارة تهدئ أعصابه ثم وعده بأنه سيدبر له اجازة مرضية تكتبها له أمه التي تعمل طبيبة في المستشفى نفسها التي يعمل بها والد كنان، ومن ثم يجد نفسه منقادًا لزميله غالي عرفانا له بالجميل لاسيما

بعد نجاحه في مادة الفيزياء وتمكّنه من قيادة فريق كرة القدم وتحقيق الفوز، على الرغم من نصائح صديقه (قيس) لكن مرة واحدة استجاب (كنان) وضعف أمام (غالي) مروج المخدرات كانت كفيلة بأن تجعله مدمنًا.

المبحث الأول : دور الرواية في مواجهة المخدرات

آفة المخدرات وتأثيرها في الفرد والمجتمع

تعد آفة المخدرات من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمعات اليوم لما تسببه من مخاطر اجتماعية واقتصادية للفرد والمجتمع، وهي مشكلة تواجهها البلدان المتقدمة والبلدان النامية على حد سواء، وهي خطر يحتاج من المجتمع الدولي مضاعفة الجهود لمكافحته. والمخدرات في اللغة: لفظ مشتق من (خدر)، (والخَدَرُ: امْذِلالٌ يَغْشَى الأَعضاء: الرِّجلَ واليدَ والجسدَ. وَقَدْ خَدِرَتِ الرِّجْلُ تَخْدَرُ؛ والخَدَرُ مِنَ الشَّرَابِ وَالدَّوَاءِ : فُتُورٌ يَعْتَرِي الشاربَ وضَعْفٌ . ابْنُ الأَعرابي : الخُدْرَةُ ثِقَلُ الرِّجل وَامْتِنَاعُهَا مِنَ الْمَشْيِ. خَدِرَ خَدَرًا، فَهُوَ خَدِرٌ، وأَخْدَرَهُ ذَلِكَ....خَدِرٌ : كأَنه نَاعِسٌ . والخَدِرُ مِنَ الظِّبَاء: الْفَاتِرُ الْعِظَامِ. والخادِرُ: الفاتِرُ الكَسْلانُ.... وَمِنْهُ خَدَرُ اليدِ والرِّجْلِ)[1]، والمعنى اللغوي للكلمة لا يبتعد عن معناها الاصطلاحي والإجرائي فكله يدور حول الفتور والخمول.

والمخدرات اصطلاحًا:(هي كل مادة نباتية أو مصنَّعة تحتوي على عناصر منومة أو مسكنة أو مفترة والتي إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية المعدة لها فإنها تصيب الجسم بالفتور والخمول وتشّل نشاطه كما تصيب الجهاز العصبي المركزي والجهاز التنفسي والجهاز الدوري بالأمراض المزمنة كما تؤدي إلى حالة من التعود أو ما يسمى "الإدمان" مسببة أضرارًا بالغة بالصحة النفسية والبدنية والاجتماعية)[2]، ومن الناحية القانونية (هي مجموعة من المواد تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون، ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك، وتشمل : الأفيون والحشيش وعقاقير الهلوسة والكوكايين والمنشطات، ولكن لا يصنف الخمر والمهدئات والمنومات ضمن المخدرات

[1] لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور ت٧١١هـ ، الحاشية لليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ : ج٤/ ٢٣٢ – ٣٣٣ .

[2] المخدرات والإدمان : الآثار والمضاعفات .. وخطوات العلاج ، د. طالب حسن أبو اربيحة ، مجلة أردن بلا مخدرات ، مجلة تصدر تصدر عن مديرية الأمن العام إدارة مكافحة المخدرات ، عمان – الأردن ، العدد ٢٨ ، كانون الأول ٢٠١٩ : ٣٨ .

على الرغم من أضرارها لإحداث الإدمان)[١]، وتعرف المخدرات إجرائيًا :(بأنها المواد غير المسموح بها قانونيًا، يتناولها الإنسان بقصد إما للهروب من واقع معين، أو من أجل إسعاد نفسه كما يعتقد، فتفقده الشعور بنفسه وبما حوله، وبما يعانيه من ألم أو مشاكل)[٢].

ويرجع انتشار المخدرات لأسباب عدة قد تكون اقتصادية فقد تدفع سوء الأحوال المادية وتدني مستوى المعيشة بعض الأفراد – لاسيما الذين يعانون من ضعف الوازع الأخلاقي والديني – إلى التعامل بالمخدرات سواء بالإتجار أو الترويج أو التهريب كونها من أسرع الجرائم وصولًا للثراء، وقد تكون جريمة المخدرات نتيجة دوافع اجتماعية كالمشاكل الأسرية والخلافات بين الأب والأم، أو فقدان أحد الوالدين بسبب الانفصال، وأحيانًا كثيرة يتعاطى الشباب والمراهقين المخدرات بسبب الجهل بمضارها وخطورتها نتيجة ضعف التوعية والتثقيف وبسبب تأثير رفاق السوء أو القرب من أماكن إنتاج المخدرات، أو الاغتراب في السفر إلى دول الانفتاح، ومن الأسباب المهمة لانتشار المخدرات غياب دور بعض المؤسسات في التوعية والمكافحة ضد هذه الآفة فالمسؤولية جماعية ومترابطة لكل المؤسسات سواء كانت أكاديمية أو تربوية أو خدمية أو ثقافية[٣].

تنبع أهمية مكافحة المخدرات من خطورتها الشديدة على الفرد والمجتمع إذ كما تودي بصاحبها إلى الهاوية فإنها تلحق الضرر بالأسرة والمجتمع والدولة فأضرارها تتجاوز المتعاطي لتصيب المجتمع والدولة، وتتمثل بالأضرار الصحية بسبب تأثيرها في تعطيل العقل وتلف الدماغ وضعف المناعة وتشجنات عصبية وتزداد خطورتها لتصل إلى الوفاة، والأضرار الاجتماعية كون المدمن شخصًا منبوذًا في المجتمع كما تمتد الأضرار للأسرة فتصبح منبوذة اجتماعيًا، فضلًا عن أضرارها من الناحية الأمنية كون التعاطي المخدرات يدفع الفرد لارتكاب الجريمة لتأمين الأموال لشراء المخدرات، ولا نغفل ضررها السياسي فان انتشار تعاطي المخدرات يؤدي إلى زعزعة تماسك الدولة من الداخل ومن ثم يسهل اختراقها، كما تسبب المخدرات ضررًا

[١] المخدرات ، أسبابها ، انتشارها ، الوقاية منها ، هناء نزار أنشاصي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١، ٢٠٠١ : ١٥ .

[٢] دور العلاقات العامة في الحد من انتشار المخدرات من وجهة نظر العاملين في إدارة مكافحة المخدرات الأردنية ، سالم خالد عابد المعايطة ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام – جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١١ : ٤٧ .

[٣] ينظر: المخدرات أضرارها وأسباب انتشارها ، صالح السعد ، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٧ : ٦٣ – ٩٧ . وينظر: دور العلاقات العامة في الحد من انتشار المخدرات، سالم خالد المعايطة: ٥٤ – ٥٧ . وينظر: تعاطي وإدمان المخدرات وتأثيرهما على تحقيق أهداف وبرامج التنمية المستدامة: دراسة ميدانية على عينة من شباب محافظة سوهاج ، د. حمدي أحمد عمر علي ، مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي ، ع ٥٥ ، ابريل ٢٠٢٢ : ٥٢١ – ٥٢٦ .

اقتصاديًا للفرد وللبلد وعرقلة التنمية المستدامة وذلك لعدم وجود الثروة البشرية المتمثلة بالجهود العضلية والفكرية لضياعها بسبب تعاطي المخدرات[١].

فمسؤولية مواجهة هذه الآفة الاجتماعية تقع على عاتق الجميع لأن لا أحد في مأمن من خطرها، ومن أهم أدوات مواجهتها هو توجيه البحث العلمي والأكاديمي بمختلف تخصصاته لنشر الوعي والتثقيف بين أفراد المجتمع لاسيما الشباب.

أهمية الرواية في تنمية وعي اليافعين والشباب بخطورة المخدرات

للأدب بصورة عامة دور مهم في الحياة الإنسانية منذ بدايات التاريخ بداية من الملاحم الأدبية التي سجَّلت تجارب البشرية وأظهرت قيمهم وثقافاتهم وبطولاتهم وصراعاتهم فهي ليست مجرد قصص تُروى، وإنما أدّت أدورًا اجتماعية مهمة في المجتمعات التي نشأت فيها فقد كانت تحمل في طياتها القيم والدروس كقيم الشجاعة والشرف والعدالة والإخلاص عبر سرد قصص أبطالها ومغامراتهم، فضلا عن تناولها لقضايا وأسئلة وجودية تتعلق بالحياة والموت، ومثّل الشعر العربي لسان حال العرب قديمًا وحديثًا فقد كان وسيلة لتجسيد القيم النبيلة ومحاربًا للقيم المضادة والدخيلة.

وللحديث عن أهمية الأدب ووظيفته يتوجب علينا فهمه على إنه فعالية اجتماعية وتجربة إنسانية يهدف الأديب من ورائها تجسيد رؤيته بشكل جمالي وليس إظهار لبراعته الفنية واللغوية، وإنما هدفه مشاركة القراء لتلك التجربة بشكل يؤدي إلى تغيير وجهة نظرهم أو تعديلها أو تأكيد ما يؤمنون به وحصيلة ذلك خلق نوع من الاتساق الفكري والشعوري بطريقة غير مباشرة[٢]. وقد ورثت الرواية كل الأدوار والمسؤوليات التي كانت ملقاة على عاتق الفنون الأدبية المكتوبة وهي تركة لا يستهان بها وعلى الروائي أن يتعامل مع فنه بتهيّب لأنه السلاح الوحيد والأشد تأثيرًا من أسلحة الأدب ؛ لأن الرواية تتوجه إلى كل أصناف القراء وطبقاته[٣]، ودور الرواية الاجتماعي والتربوي يبدأ في وقت مبكر من حياة الإنسان فالتعليم يعتمد على النصوص السردية بتلاوينها المختلفة (فحياة التلميذ وحداثة سنه لا تسمحان له باكتشاف العالم الذي يعيش فيه، فلا يعرف

[١] ينظر: دور العلاقات العامة في الحد من انتشار المخدرات : ٦٠ – ٦٣ . وينظر: تعاطي وإدمان المخدرات وتأثيرهما على تحقيق أهداف وبرامج التنمية:٥٢٧ – ٥٣٢ .
[٢] ينظر: في نظرية الأدب ، د. شكري عزيز الماضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت-لبنان ، ط١، ٢٠٠٥ : ٧٧ .
[٣] ينظر: الرواية والقيم ، الدكتور لطيف زيتوني ، دار الفارابي ، بيروت- لبنان ، ط١ ، أيار ٢٠١٨ : ٩، ٢٢٢ .

سوى نتف متفرقة منه، لهذا تلجأ التربية إلى الأقاصيص الأدبية الاجتماعية التي بإمكانها وحدها أن تضع أمامه عالمًا مكتملًا يسهل فهمه، وهذه الأقاصيص تتدرج في العمق والواقعية مع نمو مدارك المتعلم، فتتدرج فيها صور العالم بوجوهه وقضاياه ومشكلاته وعلاقاته وآليات عمله وسبل تطوره)[١]؛ لهذا تشكل القصص جزءً من التكوين المعرفي للمتعلمين والمجتمع بصورة عامة.

ولعل أكثر الفئات الاجتماعية تأثرًا بالروايات وبالأدب بشكل عام هم الناشئة واليافعين ذلك إن القراء غير المدربين يأخذون الأدب وما يطرحه من رسائل مأخذًا جادًا على إنه بديل عن الحياة أو تفسير لها[٢]، فقد يصوغ هؤلاء حياتهم حسب نماذج الأبطال في الروايات أو يتجنبون مصيرهم، على الرغم من إن الروايات التي تكتب للنشء والفتيان هي من أصعب الكتابات كونها تخاطب أخطر مرحلة عمرية يتسم أصحابها بإحساس عالٍ بالذات والأنوية والسعي للاستقلالية وعدم الاكتراث بنصائح الكبار وتوجيهاتهم، فهي (تشكل تحديًا كبيرًا للكاتب؛ إذ إنها تخاطب قارئًا ذكيًا لا يجامل ولا يتقبل أي شيء بسهولة، ويتطلب إقناعه قدرات عالية المستوى واحترافية من الكاتب؛ ولذا فليس كل ما يُجنّس أنه رواية للفتيان هو في الحقيقة كذلك، فالكاتب يزعم ذلك، والحكم للفتيان أولًا، فهم أدرى بما يناسبهم ويحترم عقولهم ويلبي تطلعاتهم)[٣]، كما تكمن صعوبة هذا الأدب بما يمثله من تحدٍ لجذب القراء مع وجود الكثير من المشتتات وأهمها شبكة الانترنت وما فيها من مواقع التواصل وما تقدمه من معرفة وتسلية وأفلام وغيرها.

والرواية ليست جزءًا مقتطعًا من الحياة بل هي تفسير وإعادة كتابة للحياة، وهي شكل خاص من أشكال الخطاب لها حمولة أخلاقية ؛ لكن الأخلاق التي تقدمها الرواية تختلف عن الكتب الاخلاقية والفلسفية الأخرى فهي لا تلجأ إلى الوعظ المباشر ولا إلى الأنطولوجية الأخلاقية إذ تتجسد حمولاتها الأخلاقية في حركات الشخصيات وسلوكها وتفكيرها وحتى في تعابير الوجه فالشكل الروائي يساعد على فهم المضمون ويقنع دون برهان، وبهذا تختلف

[١] الرواية والقيم : ١٦٣ .
[٢] ينظر: نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، اوستن وارين ، ترجمة: محيي الدين صبحي ، الدكتور حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، مطبعة خالد الطرابيشي ، ط٣ ، ١٩٧٢ : ١٣٠ .
[٣] رواية الفتيان في الأردن ، موسى أبو رياش ، مجلة أفكار ، وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ، العدد ٤٢٢ ، آذار ٢٠٢٤ : ٧ .

الأخلاق والأحكام والقيم المستخرجة من الرواية عن الأخلاق المبنية على القواعد النظرية لأنها تتسع للصور والذكريات والخيال والمرئيات جميعًا[١].

تؤدي الرواية دورين:(دور التوعية على الواقع بتمثيله أمام القارئ، ودور التوعية على المسائل الاجتماعية بجعلها موضوعًا للحوار بين شخصياتها)[٢]، ويحصل الوعي الاجتماعي عبر تداول الأفكار وتغييرها وهذا في الحقيقة يحتاج إلى وقت طويل أو ثورات وصدامات حضارية ؛ لكن الرواية تمارس التوعية عبر تقنية الحوار وطبيعة الشخصيات أو كلامها أو في مصائرها أو في الأحداث وغلبة منطقها على منطق الشخصيات أو في العبرة التي تحملها الخاتمة[٣]، والكاتب لاسيما في الروائي يستفاد من قدرته على حسن التعبير في عرض عشرات السنوات من عمر الشخصيات في دقائق قليلة، وهو ما لا تستطيع تقديمه الحياة الحقيقية فضلًا عن استطاعتها تقديم الصورة كاملة للثورات من بدايتها لنهايتها بينما ذلك يحتاج إلى سنوات طويلة؛ لهذا تشكل الرواية أداة للثورة وللمعرفة والتوعية الاجتماعية والسياسية[٤]. فالمرحلة العمرية للمراهق واليافع تمثل مرحلة تكوين الوعي وتحديد المبادئ والتوجهات الفكرية ومن هنا تأتي أهمية الروايات كونها أداة مهمة للتنمية البشرية لتلك الفئة.

إن الأدب الموجه إلى الفتيان والفتيات يصبح (ذا قيمة ليس في فنياته وتقنياته، بل أيضًا من خلال علاقته بحياة قرائه، وتلمسه لاحتياجاتهم وتركيزه لاهتماماتهم ؛ بمعنى أنه أدب يعمل بقوة على تحفيز الفتيان/ الفتيات، على القراءة والإبداع، وتقديم إطار مرجعي لهم يساعدهم في العثور على نماذج يحتذى بها، وعلى فهم طبيعة العالم المحيط بهم، وتطوير أفكارهم حول الحياة والوجود، ودفعهم للاستزادة من المعرفة، بما يحقق لهم نموًا نفسيًا سويًا اجتماعيًا وحضاريًا)[٥]، وفي الوقت الذي يخوض فيه المجتمع الدولي حربًا ضد المخدرات، فإن ثمة مسؤوليات ومهام تقع على عاتق الجميع مؤسسات حكومية ومجتمعية أفراد وجماعات، أكاديميين وباحثين في كل التخصصات العلمية والإنسانية، ويؤدي الأدب دورًا محوريًا في تثقيف اليافعة والناشئين لأنهم الفئة الأكثر استهدافًا ووقوعًا في شرك المخدرات، ودور الرواية في التوعية والتثقيف بمخاطر

[١] ينظر: الرواية والقيم : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١١ .
[٢] الرواية والقيم : ١٠ .
[٣] ينظر: الرواية والقيم : ٢٠٠ ، ٢٢٠ .
[٤] ينظر: الرواية والقيم : ٢١٩ .
[٥] منصات دعم أدب الفتيان / الفتيات في الأردن ، هيا صالح ، مجلة أفكار ، وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ، العدد ٤٢٢ ، آذار ٢٠٢٤ : ٨ .

المخدرات دور إرشادي وقائي بأن المخدرات ليست لعبة أو مغامرة ودور تثقيفي توعوي يوضح دور المروجين وكيف يدخلون إلى ضحاياهم من الشباب والفتيان، فضلًا عن دورها في تقديم الحلول لمن وقع في فخ الإدمان فهي تقدم الصورة الكاملة، فرسالة الأدب أعمق تأثيرًا في المجتمع، لكن ذلك لا يتم بالوعظ الفجّ والمباشرة التي ينفر منها الفتى اليافع والقارئ بصورة عامة، وإنما تقدم له فنيًا عبر المتخيل الروائي إذ يتم التركيز على اللغة والتقنيات السردية لاسيما بناء الشخصية الرئيسية في الرواية التي تكون بالضرورة من عمر اليافعين وتحمل سماتهم الفكرية والاجتماعية وميولهم الثقافية، فضلًا عن النمو الدرامي للأحداث الذي يصب في إغناء ثيمة الرواية الأساسية وهي تعرية عالم المخدرات وتوعية الشباب من الوقوع به.

وعلى أهمية دور الرواية التوعوي لمكافحة المخدرات فإن الروايات التي اتخذت دور المواجهة قليلة وليست بالكثرة مقارنة بالروايات التي تناولت المشكلات الاجتماعية الأخرى، وأغلب الروايات التي اتخذت من ثيمة مكافحة المخدرات كانت موجّهة إلى الشباب واليافعين، منها على سبيل المثال: رواية (جرعة زائدة) للكاتبة هيا صالح صدرت عام ٢٠٢٢ وهي رواية لإنقاذ اليافعين من مخاطر الإدمان يرويها فتى يتورط في الإدمان على المخدرات لكنه ينجح في التخلص مستعينًا بإرادة صلبة، ورواية (ربع جرام) تأليف عصام يوسف صدرت سنة ٢٠٠٨ قصة شاب مدمن لكنه تعافى بعد رحلة مؤلمة مع الإدمان وهي عن قصة حقيقية لصديق الكاتب تشافي وأصبح مديرًا لأحد الفنادق العالمية.

المبحث الثاني : الرسائل التوعوية للرواية عبر البنية السردية

لكل عمل أدبي –لاسيما الرواية– لكي يكون ناجحًا لابد أن يقدم ويروج لقيمة أو فكرة ما وهي الرسالة التي ستبقى راسخة في مخيلة القارئ بعد مرور زمن على قراءة الرواية، الفكرة أو الرسالة التوعوية لكل عمل روائي لا تنفصل ولا يتم التعبير عنها دون العناصر السردية لا سيما الشخصية والأحداث والزمان والمكان، فما يحدد قيمة الرسالة التوعوية هو الطريقة الفنية التي تقدم بها. وهنا يأتي السؤال كيف للكاتب في رواية الفتيان وفي الرواية عمومًا أن يجمع بين الرسائل التوعوية والمتعة وتذوق جمال الخطاب الروائي؟

العتبات النصية

يشكل العنوان مع الغلاف عنصر الجذب الأول للقارئ، وجاء عنوان (الزفت الأبيض) موضوعاتيًا أي يعتمد على موضوعة النص الروائي ومضمونه وهو ثيمة تعاطي المخدرات، وهو عنوان رمزي يعتمد على المجاز المرسل، بنيته التركيبية رمزية استعارية تعضد ثيمة الرواية، وكان وصف المخدرات بالزفت : وهو منتج من المنتجات النفطية الثقيلة التي يستحصل عليها من مصافي النفط بالتقطير التجزيئي للنفط وغالبًا ما تكون على شكل بقايا مرنة لزجة سوداء اللون وتستعمل في رصف الشوارع أو لطلاء أسطح المنازل لوقايته من المطر ويسمى أيضًا بالأسفلت أو القير[١]. وفي الرواية ترد هذه الكلمة في معناها المجازي إذ تستعمل في اللغة الدارجة لأغلب الدول العربية للشتم والذم لتعطي معنى القبح والانحطاط بالقاع والحماقة نسبة للونها الأسود، لكن كيف يكون الزفت أبيضًا؟ تأتي هنا وظيفة العنوان الإغرائية والتحريضية لقراءة الرواية، ليكشف مضمون الرواية أن (الزفت الأبيض) هو الاسم الذي أطلقه (كنان) الراوي البطل الذي وقع في فخ المخدرات ذلك السم الأبيض أو الزفت الأبيض، (ستكون هذه حبَّتي الأخيرة. تأملتها في يدي، تتنكر ببراءة خلف لونها الثلجي، حبَّة من زفت أبيض!)[٢]، (شيئًا ما طرأ على حياتي التي كانت سعيدة، فغيَّر مسارها. شيء اسمه المخدِّرات، أو الزفت الأبيض كما يروقني أن أسمّيه)[٣]، واختيار هذا التركيب اللفظي للعنوان وروده في السرد على لسان البطل يحمل وظيفة مهمة في جذب الانتباه وتوصيل رسالة الرواية وثيمتها الأساسية عبر هذا التناقض الجاذب بالجمع بين كلمتين متنافرتين مما يثير الفضول، فالأبيض يشير إلى لون المخدِّرات التي غالبًا ما تكون بيضاء اللون كالكوكايين والهيروين، والزفت يشير إلى خطورتها وتأثيرها المدمر.

وتؤدي صورة غلاف الرواية وظيفة دلالية فيها نوع من التنبؤ بنهاية الرواية وبطلها اليائسة والمحبطة، فهي الصورة نفسها التي وضعها (كنان) بطل الرواية خلفية لبثّه بعدما أدمن المخدرات تعبيرًا عمّا وصل إليه (كان هذا الشاب عاجزًا، وكذلك كنت أنا)[٤]، إذ يحمل الغلاف صورة لشاب يجلس جلسة القرفصاء متكئًا على حائط واضعًا مرفق يديه فوق ركبتيه في وضعية منكسرة وحزينة، ويرتدي معطفًا أحمر ذا قلنسوة تغطي رأسه وتخفي ملامح وجهه، وترمز صورة

[١] https://www.arabdict.com/m/results?lang=ar&dict=ar&q=%D8%B2%D9%81%D8%AA تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٩/٣
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%81%D8%AA تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٩/٣ .
[٢] الزفت الأبيض ، ماريا دعدوش ، دار الياسمين للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط٢ ، ٢٠٢٢ : ١٠٣ .
[٣] الزفت الأبيض : ١١٠ – ١١١ .
[٤] الزفت الأبيض : ١٥٠ .

الفتى إلى شعور العزلة والإحباط والانهيار الذي يعانيه الشخص المدمن على المخدرات، وتعزز الألوان الداكنة والظلال المحيطة به الشعور بالضياع والكآبة وهو ما يعكس الحالة النفسية لشخصية البطل بعد دخوله عالم المخدرات والعواقب الوخيمة التي يتسبب بها، فضلًا عمّا يرمز له اللون الأحمر للمعطف من معاني الخطورة والغضب والتمرد ودلالته الخاصة بالنسبة للشخصية إذ يمثل اللون الأحمر مع اللون البرتقالي ثيمة مهمة في فكر البطل منذ طفولته عندما سأل أباه عن سبب سفر أمه وتركهم (صمت بابا طويلًا حتى ظننت أنه لن يجيبني، ثم أشار نحو إشارة المرور القريبة وقال: "أترى اللون البرتقالي في إشارة المرور ؟ ماذا تظن أنه سيأتي بعده؟" أجبته "الضوء كان أخضر.. الآن برتقالي.. بعده أكيد أحمر".. فقال: "البرتقالي فرصة لنا كي نفكّر ونتريَّث، ثم نقف عند الأحمر. لو أضاء الأحمر ولم نتوقَّف، سنخسر الكثير". استغرقت سنين حتى فهمت ما قصده بابا، وهو أن ماما كان عليها أن تقف عند الإشارة الحمراء وألَّا تتركنا، لكن فكرة البرتقالي والأحمر بحدِّ ذاتها سيطرت عليَّ منذ ذلك اليوم، ودخلت رسوماتي وسياراتي الصغيرة وفرشاة أسناني)[1]ومن ثم أطلق على قناته في الفيسبوك (أحمر– برتقالي) فاللون الأحمر للمعطف الذي يرتديه الشاب في صورة الغلاف يرمز إلى فكرة البطل عن هذا اللون التي سيطرت على تفكيره وتوجهاته وهواياته، وهي إن أضاء الأحمر ولم نتوقف فسنخسر الكثير لأن هناك مواقف وتحديات في الحياة نمر بها عندما تصل إلى مرحلة معينة (حافة الخطر) ويرمز لها باللون الأحمر يتوجب عندها التوقف.

تأتي أهمية الروايات التي تكتب للشباب والفتيان ليس من دورها المنشود في التثقيف والارتقاء بالذائقة الأدبية وزيادة المخزون اللغوي فحسب، وإنما تكمن أهميتها بالدرجة الأساس في رسالتها التوعوية والتنويرية والتربوية بعيدًا عن المباشرة والتقريرية والوصاية دون إغفال دورها في الترفيه والمتعة والتسلية[2]، وتتنوع تلك الروايات بحسب مضامينها والثيمات المهيمنة فيها فقد تكون رواية تاريخية أو رواية خيال علمي، أو رواية وطنية أو رواية اجتماعية، ورواية (الزفت الأبيض) رواية اجتماعية ذات بعد درامي إنساني واقعي.

الشخصيات

[1] الزفت الأبيض : ١٤

[2] ينظر: رواية الفتيان في الأردن : ٧ .

تؤدي الشخصيات المستديرة دورًا رياديًا في الرواية ولعل البعد الاجتماعي الذي تقدمه الرواية الذي يكون عبر علاقة الشخصيات ببعضها وكذلك عبر خيارات كل شخصية خلال نضالها في سبيل أهدافها هو أكثر الأبعاد استيعابًا لدور الرواية التثقيفي والتنموي[١]. وفي الروايات الموجهة لليافعين والنشء يكون تأثير الشخصية أكبر وأشد إذ توفر لهم فهمًا أعمق لأنفسهم وللعالم من حولهم وتعزز قدرتهم على التعامل مع تحديات الحياة بطريقة صحية ومتوازنة.

نجحت رواية (الزفت الأبيض) في نسج وتقمص شخصية الفتى اليافع ذي السبعة عشر عامًا بحرفية، والتحدث بلسانها والتعبير عمّا يجول في تفكيرها والخوض في اهتماماتها واحتياجاتها والموضوعات التي تدخل ضمن نطاق تجاربها أو ترتبط في وجدانها، كما نجحت في الابتعاد عن البطل النموذج أو الكامل إذ لم تكن شخصية (كنان) مثالية أو خيالية هو شاب وطالب يشبه كل الطلبة الفتيان في عمره يعشق الرياضة ولديه حلم في أن يصبح شيئًا ما ويحلم أن يكون ثريًا وإعلاميًا مشهورًا ؛ لكنه يتعرض لتحديات قد يتعرض لها كل أقرانه تدفع بشخصيته إلى التغير والنمو ومن ثم النكوص والتدهور، وفي السرد (يبلغ التشويق ذروته حين يستطيع الكاتب رسم شخصيات القصة في إطار الزمان والمكان رابطًا بها حوادث القصة)[٢] فأحداث القصة على الأغلب في العام ٢٠١٩ وهو العام نفسه الذي صدرت فيه الرواية ومكانها هو إحدى المدن العربية فالزمان والمكان (البلد) مشوش مع تركيز واضح على وصف الأمكنة التي تدور فيها الأحداث ؛ لهذا نجد أنه من السهل والممكن وجود تلك الشخصيات والأحداث في كل زمان ومكان وهو أمر لعله مقصود من الكاتبة فقصة (كنان) ليست فريدة من نوعها وإنما هي قصة كل شاب في كل زمان ومكان.

وظّفت الكاتبة صوت الشخصية (البطل) في رواية أحداث الرواية ليبتعد السرد عن إطلاق الأحكام والوعظ والإرشاد ؛ لأن القارئ اليافع سيشعر بالنفور لو كان راوي الأحداث راويًا عليمًا وكأن ثمة شخصًا بالغًا يمارس سلطته عليه، ولغة الراوي البطل في سرد الأحداث لغة متمكنة تنم عن شخصية مثقفة وقارئة وهذا ليس غريبًا على فتى بعمر المراهقة المتأخرة ويقترب من سن الرشد ولديه ثقافة شخصية وموهبة وحلم في أن يصبح إعلاميًا، وهي لغة شعرية في بعض الأحيان إذ يمتلك (كنان) أسلوبًا حساسًا ومرهفًا، لا يشعر قارئ الرواية أنه أمام عمل

[١] ينظر: الرواية والقيم : ١٣٥ .
[٢] رواية الفتيان :خصائص الفن والموضوعات ، د. نجم عبدالله كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، ٢٠١٤ : ٦٦ .

روائي وعظي إرشادي أو قصة للمراهقين ذات أسلوب ولغة مبسطة جدًا، فالمتعة وتذوق الفن أمر مهم إلى جانب الرسالة التوعوية ولا نبالغ إذا ما قلنا إن وقفات الراوي في الوصف لتفاصيل الأمكنة والأشخاص كانت من أهم عناصر التشويق والجذب في الرواية، فمثلًا يصف الراوي دخوله مع صديقه قيس لكافتريا المدرسة بعد أول بث له في قناته :(أسرعت نحو الكافيتيريا مع قيس يملؤنا فضول أن نرى وقع البث عليهم هناك. دفعت بابها برفق بمقدمة حذائي الـNike الذي تغطيه الخدوش، فارتدّ الباب وانفتح أمامي. دخلنا، فاستقبلني الجوُّ الدافئ فيها ولفَّح وجنتيَّ . وصلَتْ إلى أنفي رائحة القهوة وبقايا الجبنة الذائبة المحترقة في سخانات الشطائر. صوت العصير يتدفق في قعر الأكواب أشعرني بالعطش فجأةً)[1]، ويصف صديقه (قيس) وهو واقف في طابور شراء الطعام من الكافيتيريا :(ذراعاه الطويلتان لطالما سهلتا عليه الالتقاط السريع للمناقيش التي تتوافد تباعًا، ولو كان مسبوقًا ببعض الرؤوس القصيرة ذات الأسبقية في الطابور. ساقاه الطويلتان أيضًا كانتا تساعدانه على الإسراع بعيدًا عن الاحتجاجات التي تتولد خلفه كلما فعل ذلك كل يوم)[2]، وبراعة الوصف لتفاصيل الشخصية وحركاتها تجعل الشخصية أقرب للقارئ، فضلًا عن إن الوصف يضيء الأبعاد الأخرى للشخصية فمن خلال وصف (كنان) لشخصية (غالي) جسمانيًا يتضح بأنه شخص غير سوي ومدمن:(غالي شاب كان قد رسب مرَّتين في مدرسته السابقة، وانتقل إلى مدرستنا هذا العام. أكتافه صغيرة وقياس حذائه أصغر من أحذية البنات. أسنان غالي لا أظنُّها تصلح يومًا أن تكون في دعاية مُبيِّض للأسنان، ولم أره يومًا دون زكام، بعينيه وأنفه الحُمر، وأصابع كفَّيه التي اختفت خلف أسورة أكمامه، ورأسه تغطيه قلنسوة جاكيته، على رغم أنه يرتدي أيضًا قبعة صوفية سوداء رقيقة لا يخلعها أبدًا. غالي دائمًا يبدو عليه الانزعاج، لذلك لم يكن له الكثير من الأصدقاء)[3]، و أسلوب الرواية هو السهل الممتنع وجاءت عباراتها مسبوكة لغويًا ذات طبيعة شعرية مرهفة في قالب درامي إنساني تحترم قدرة قارئها في فهم لغة السرد وجماليتها، فالتبسيط المبالغ في أسلوب الكتابة للنشء قد يؤدي إلى نفور القارئ ذلك إن (التبسيط المبالغ فيه قد يعبر، للمراهق القارئ مثلًا، عن استهانة في قدراته مما لا يتلاءم مع أحاسيس هذا المراهق بالأنية التي كثيرًا ما يكون محقًا فيها من وجهة نظر

[1] الزفت الأبيض : ٢٥ .
[2] الزفت الأبيض : ٢٥ .
[3] الزفت الأبيض : ٢٨ .

الآخرين)[1]، وهذه اللغة الشعرية ليست في وصف الشخصيات والأمكنة وإنما يجيدها الراوي البطل في وصف المشاعر، إذ يصف مشاعر الضعف التي تنتابه أمام الحبوب التي وضعها (غالي) في درجه:(أحاول أن أعود إلى النوم، لكن كلُّ زوابع الأيام السابقة تدافعت أمام عيني : علامة الفيزياء، السيجارة، شراب التركيز، مشكلة بابا مع الإبر، مخاصمة قيس لي، وأشياء كثيرة أخرى. لماذا نعيش في هذا العالم القاسي؟! بعد ذلك العراك، كل أنْمُلة في جسمي كانت تئن. أحتاج إلى ما يهدِّئ ألمي. لماذا أحاول أن أخدع نفسي؟! نعم أفكِّر بالحبَّات، ونعم أتوق إلى العالم المسالم الذي وعدني غالي به. هذا النذل زرع الحبَّات في الحارة الخلفية لدماغي عند باحة القرارات الخاطئة، وغادر)[2]وطريقة سرد الراوي للأحداث ووصف الشخصيات والأمكنة لها دور مهم في نجاح وإيصال رسالة الرواية التوعوية.

وتبث الرواية رسالة توعوية تحذيرية مهمة من خلال شخصية (كنان) وهي ليس كل من يقع في فخ المخدرات قد يكون ذا شخصية سلبية ليست على قدر من الأخلاق والثقافة، وإنما حتى الشباب الخلوق والملتزم وصاحب الوعي قد يقع في هذا الفخ، فقد سلطت الضوء على الأبعاد الفكرية والثقافية والاجتماعية لشخصية البطل ورفاقه ليشعر القارئ الشاب أو اليافع بالقرب منها ويتماهى معها، فمن ناحية البعد الاجتماعي والاقتصادي للشخصية فإن (كنان) ينتمي للطبقة المتوسطة يعيش مع والده الذي يعمل ممرضًا في مستوصف المدرسة نهارًا وفي المستشفى ليلًا، وتربطه بأبيه علاقة قوية وحميمة ويصف الراوي البطل علاقته بأبيه بعد انفصال والديه وهو في سن السادسة:(أما بابا بعد ذلك، فتولى وحده مهمة العناية بي دون تذمر، يلاعبني ويساعدني في الوظائف، ويرتب البيت. بابا يطهو لنا أيضًا، ثم لما كبرت قليلًا، صرنا نطهو معًا)[3]ولشدة ارتباطه بأبيه كانت والدته تشعر بالغيرة من تلك العلاقة عندما كانت تزوره مرة كل عام إذ تقول له: (أتعلم ياكنان؟ علاقتك بأبيك لا تشبه أي شيء. أشعر أني غريبة بينكما. يحزنني هذا)[4]، كان (كنان) يشعر بالأسى والذنب تجاه والده بسبب مرضه وعمره وعمله:(بابا يناوب كل يوم بين السابعة ليلًا والثالثة صباحًا في مستشفى (الإسعاف الخيري)، أما في الصباح، فهو الممرض المسؤول في مدرستنا والطلاب كلهم ينادونه الدكتور زيدون. كل يوم

[1] رواية الفتيان : ٦٦ .
[2] الزفت الأبيض : ٩٩ .
[3] الزفت الأبيض : ١٤-١٥ .
[4] الزفت الأبيض : ١٥ .

نذهب ثلاثتنا في الصباح في سيارة قيس، ويمضي بابا الدوام معنا في غرفة العيادة في المدرسة، ثم نعود معًا ونتغدى، وينام بابا ساعتين، ثم يسرع إلى دوامه في المشفى، وهكذا دواليك. لم تكن هذه حياة مثالية لرجل تجاوز الخمسين ويعاني حالة قلبية وسكريًا متقدمًا مثل بابا، لكن ما يجعل بابا يتحمل هو أن مدرستي أعفته من أقساطي، لأن من سياساتها أن تستقبل الأبن الأول للموظفين بالمجان)[١]، لم يكن(كنان) فتى مراهقًا عديم المسؤولية وإنما كان يشعر بالمسؤولية تجاه والده فكان يحلم ويخطط أن يصبح إعلاميًا ناجحًا ومشهورًا :(وكي أرد جميله، وعدت نفسي أنه لن يبلغ الستين من عمره إلا وقد صرت الإعلامي الأشهر في الوطن العربي، وعندها سأشتري له مشفى خاصًا يداوم فيه في اليوم ساعة فقط أو ساعتين)[٢]، وكانت فكرة إنشائه لقناة (برتقالي– أحمر) هي خطوته الأولى في اتجاه الإعلام:(لم أكن لأهتم برأي أحد، فالإعلامي الجيد ليس عليه أن يخاف من أحد، وأنا لن أتوقف قبل أن أكون الإعلامي الأول في البلاد)[٣]. شخصية (كنان) شخصية ملتزمة لديها وعي ورؤية، وفي أول بث له في قناته الذي تكلم فيه عن مشكلات كافيتريات المدارس استطاع أن يجذب الشباب والمراهقين للاستماع إليه بسبب أسلوبه في الطرح وتمكنه من أدواته اللغوية إذ بدأ بثّه بقوله:(مرحبًا أصحابي، في مدرسة (الناجحون) أينما كنتم، وفي المدارس الأخرى لدينا نحن الشباب الكثير لنقوله لمن حولنا، لكن لا نجد دائمًا من يستمع لنا. قناتي هذه أفتتحها اليوم كي تكون ميكروفونًا يصل منه صوتنا. يقول فولتير: "قد لا أتفق بالضرورة مع ما تقوله، لكني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله". يبدو أن الكثيرين لم يسمعوا بقول فولتير هذا، لأنه ما أكثر مَن يسكتنا من أهلنا وأساتذتنا، وحتى من الشباب بيننا، حسنًا لا أحد يستطيع إسكات قناتنا هذه...)[٤]، وهذه البداية تنم عن شخصية متزنة ولديها وعي ورؤية وهو ما تؤكده الكلمات التي اختتم بها بثّه:(حديثنا اليوم وضعنا أمام إشارة مرور ضوؤها برتقالي. يمكننا أن نستمر على مانحن عليه من السلبية، وتبقى الأمور كما هي كل يوم. أصحابي في برتقالي – أحمر، أترككم على خير)[٥]، ويظهر البعد الفكري لشخصية (كنان) ومظهرها وبعدها الجسماني على لسان صديقه (قيس): (سألني قيس: "هل حضَّرتَ ما ستقوله؟".. أجبته: "لست محتاجًا إلى التحضير؛ الكلام لا يصمت في رأسي ثانية واحدة. كل ما

[١] الزفت الأبيض : ١٦ .
[٢] الزفت الأبيض : ١٦.
[٣] الزفت الأبيض : ٢٣ .
[٤] الزفت الأبيض: ٢١ .
[٥] الزفت الأبيض : ٢٢ .

نحتاج إليه هو أن أضغط زرَّ play على لساني، وستتدفق الكلمات وحدها" هزّ قيس رأسه مذهولًا، وقال: "أنت محظوظ ؛ تتكلم بثقة وتمشي بثقة، وتربط شعرك المموج مثل جون سنو والبنات يتهافتن عليك. هل نسيت رسالة الغرام التي وجدتها في كتاب المورثات من معجبة سرية؟)[١]، و(كنان) شاب رياضي يمارس الرياضة ويهتم ببناء جسمه الرياضي ويعشق كأغلب الشاب كرة القدم هو وصديقه قيس فهو ماهر بها[٢].

ويضيء الفصل الأول والثاني من الرواية طبيعة حياة (كنان) وأبعاد شخصيته وكيف تربطه بأبيه وصديقه (قيس) علاقة صداقة رائعة وإنهما يشكلان لكنان عالمه وحياته[٣]، وإن قيس ليس مجرد صديق عابر إذ يَرِد على لسانه:(تشجيع قيس يترك أثرًا طيبًا فيَّ)[٤]، وأن حياته معهم كانت على أفضل ما تكون إلى أن أخذ السيجارة من زميله (غالي) لتنقلب بعدها حياته وتتدهور، وتمثل شخصية (قيس) الصديق الصدوق الذي يحب صديقه ويخلص له النصيحة ويحاول منعه من الوقوع بالزلل والخطأ[٥]؛ لكن خطورة أصدقاء السوء قد تكون أقوى بحجج تغوي المقابل نذكر مقولة (غالي) التي يغوي بها (كن مع غالي ولا تبالي) فقد كان يخدعهم ويستغل ضعفهم ويضع لهم تبريرات غير منطقية ومنها حديثه مع كنان:(الأصل في الناس أن يكونوا سعداء، لكن نحن عقّدنا الحياة على أنفسنا. الإنسان مخلوق لأجل السعادة، وما تناولناه طبيعي ١٠٠ في المئة. ثق بي)[٦]، وبالمقابل كان هناك صوت (قيس) إذ مثّل صوته عنصر ردع لـ(كنان) لشدة تعلق الأخير الأخير به، فعندما تعرض (قيس) للضرب من فريق الأشبال دافع عنه قيس وجعل جسده درعًا لحمايته:(ما فعلته كان أقلَّ ما يمكن أن أفعله لقيس، فقيس مثلُ... قيس! لا أحد مثل قيس! صديقي، شريكي في الكرة، الشخص الوحيد في الدنيا الذي يهتمُّ لأمري....آلامي أهون عليَّ من خصومة قيس)[٧]، فالرواية تقدم صوتين أو شخصيتين يتنازعان البطل صوت (غالي) المُروِّج للمخدرات وصوت(قيس) الصديق المخلص، ومثال ذلك الحوار الدائر بين (كنان) و(قيس) ومن ثم تدخل (غالي):(فسألته:" ما بك؟ لم تتكلم معي منذ الصباح!"..

همس: "ما بي؟!أنت مجنون؟!"..

---

[١] الزفت الأبيض : ١٨ – ١٩ .
[٢] ينظر: الزفت الأبيض : ١٦ .
[٣] ينظر: الزفت الأبيض : ١٥ .
[٤] الزفت الأبيض : ٢٥ .
[٥] ينظر: الزفت الأبيض : ٤٣ – ٤٤ .
[٦] الزفت الأبيض : ٧٣ .
[٧] الزفت الأبيض : ٩٥ .

قلت له: "كلُّ هذا التوتر من أجل مجرد حبة؟!"..

..... قال::"مجرد حبَّة؟! ليست مجرَّد حبَّة، وأنت تعرف ذلك!".

.....قلت له: "ما لضرر في بعض لحظات من السعادة؟! أنا لم أؤذِ أحدًا!".

أجابني... :"(أنا لم أؤذِ أحدًا).. هذا تمامًا ما يقوله المقامر مع نَرْدِه، والسِّكِّير والكوب في يده، والغانية مع عُشَّاقها"..... قلت: "تبدو مثل خطيب الجمعة!"

...قال: "خطيب الجمعة وقسُّ الأحد وحاخام السبت. كل الأديان السماوية تحرِّم المخدِّرات. بابا حذرني منها ألف مرة. أعرف كل شيء عنها". قاطعته:" بل أنت لا تعرف شيئًا أبدًا. هل تعرف ماذا أظنّ؟ أظنُّ أنه عليك أنت أيضًا أن تجرِّبها بنفسك!". لم أشعر بعد ذلك بما حصل، لكن كل ما أعرفه أن الصينية التي كانت في يدي طارت نحو السقف.....نظرت في عينَي قيس فوجدت فيهما غضبًا لم أره من قبل. بصق على البلاط، وشهر سبابته في وجهي وقال: "أحمَر!".. ثم ابتعد وتركني منغمسًا في إحراجي.....كفان تختفيان خلف أسورة الأكمام التقطتا الصينية عند قدمي. كان هذا غاليًا....قال: "لا تغضب من قيس ؛لن يفهمنا أحد إلا شخص جرّب مثلنا. هناك سهرة يوم الخميس. تعال معنا")[1]

ولعل الرواية تقدم رسالة توعوية للأهل قبل الأولاد بأن الكل معرض لخطر المخدرات مهما كانت التربية صارمة أو مثالية لأن الخطر بالخارج أقوى فبالرغم من قوة شخصية البطل والتزامها ورفضه المتواصل لكن (غالي) تمكن من الدخول له من أماكن الضعف في شخصيته، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ردود فعل (كنان) الأولى أمام محاولات (غالي) :(سيجارة من ذلك الشيء الذي لا أودُّ أن أذكر اسمه ولو في نفسي! بضعة أنفاس منه كانت كافية كي أقرِّر ألَّا أُكرر هذا في حياتي. صحيح أنه أزال مني القلق، لكن بعده سيطر عليَّ شعور غريب لم أرتح له، نَزَق وانزعاج..... يستحيل أن أسمح لما حصل اليوم أن يتكرَّر!....عالم التدخين هذا عالم كريه، لن أزوره مرَّة أخرى أبدًا)[2]، (مللت هدايا هذا الفتى وما يأتي بعدها!)[3]، (هذه المركبات غامضة وغريبة، ولا أود لها أن تدخل جسمي مرة أخرى. هذا وعد وعدته لنفسي)[4]؛

[1] الزفت الأبيض : ٨٦ – ٨٨ .
[2] الزفت الأبيض : ٣٦ .
[3] الزفت الأبيض : ٤٨ .
[4] الزفت الأبيض : ٥٧ .

لكن للأسف مَن يتعاطى الممنوعات لا يكتفي بالمرة الواحدة لأنه من الصعب أن تبقى تحت السيطرة وهذا ما اعترف بها (كنان) في إحدى بثوثه على قناته: (كل من يخبركم أن الممنوعات يمكن أن تبقى تحت السيطرة، وأنه يمكن أن تكتفي بالقليل منها، وأن عليك أن تجرِّبها تجربة فقط كي تأخذ فكرة عنها، كل من يقول هذا هو شخص كاذب، أو جاهل. شخص لا يفهم شيئًا. شخص يخدعك. غبي يسعى وراء نقودك)[١]، فخطورة المخدرات تكمن بأنها طريق واحد ذهاب بلا عودة، وإن تحققت كل ممكنات الرجوع من إرادة ومساعد وتأهيل فإنه ليس بالأمر الهين والممكن فضلًا عن أبعاده وتأثيراته الصحية والاجتماعية على الفرد والأسرة.

ومن اللافت في الرواية ثمة تشابه بين وضع (كنان) العائلي ووضع (غالي) فكلاهما يعيش مع أحد والديه وكلاهما ينشغل أحد الوالدين بساعات عمل طويلة تجعلهم يغيبون عن البيت لساعات طويلة، وهي رسالة ضمنية تشير إلى أحد أسباب الإدمان والوقوع في المخدرات هو غياب أحد الوالدين أو انشغالهما، وكان هذا الانشغال مصدر سعادة لـ(غالي) إذ يقول مخاطبًا (كنان):(ألسنا محظوظين أن أمي وأباك عليهما المناوبة في المستشفى كل ليلة؟)[٢] ومع اختلاف الشخصيتين وتعلق (كنان) بوالده وحلمه أن ينام أبوه كل يوم في البيت فإن النتيجة واحدة وهي غياب الأهل وانشغالهم في العمل ليلًا ونهارًا هو أحد أسباب وقوع الأبناء في فخ المخدرات، ولعل الغريب في الرواية كيف إن والدة (غالي) طبيبة ووالد (كنان) ممرض ولم ينتبها للأعراض الجسدية التي بدت عليهما والتي تثير الشك بأنها ليست أعراض زكام، أو ربما إنها ثقة مفرطة كما وصفها (كنان) : (بابا أحضر لي من الصيدلية فيتامين سي فوارًا، ومضادًا لاحتقان الأنف، وكيسًا مختومًا بأدوية الزكام. ممرض محترف، ومع ذلك لم يكتشف أني أشكو من أعراض الإدمان، ربما لأنه هو نفسه يشكو من أعراض فرط الثقة. فرط الثقة بشخص لا يستحق الثقة)[٣].

استطاعت الكاتبة عبر شخصية (كنان) رسم ما يشعر به المتعاطي من تغيرات جسدية وشعورية ووصفها ببراعة فقد ورد على لسان (كنان) وصف حالته عند تناوله لأول مرة سيجارة الحشيش: (سرعان ما انتابني شعور غريب.. كأن موجةً مغناطيسية ضربتني من الأمام. قلت :"شكرًا غالي على هذه الدورة المفيدة". كلماتي خرجت بطيئة وثقيلة، كأنها فيديو على يوتيوب

[١] الزفت الأبيض : ١١١ .
[٢] الزفت الأبيض : ٧٠ .
[٣] الزفت الأبيض : ١٣٨ .

بسرعة 0.5x ! شفتاي استرختا، وابتسامة ارتيح تسللت إليهما ثم علقت هناك. رأسي صار أخف، على عكس حذائي الذي تحوَّل فجأةً إلى وزن الحديد!)[١]، ووصفه أيضًا لشعوره عندما شرب قارورة المنشط التي أعطاها له (غالي) لتساعده في حفظ وفهم مادة الفيزياء ليلة الامتحان:(وضعت الزجاجة على فمي ولم أنزعها إلا فارغةً... نوع من الطاقة بدأ ينتشر في دماغي. العالم كله اندسَّ داخل الكتاب صار عالمي الوحيد. كنت لمَّا أقرأ أفهم، ولمَّا أفهم أصابعي تحلُّ المسائل، كأن لها عقلها الخاص! عمَّ صمت غريب داخل دماغي، وتلك الأصوات الثرثارة التي عادةً ما تعطيني تعليمات طوال النهار، سكتت بالكامل!)[٢]، كما تصور الرواية ما تتركه المخدرات من تأثير في جسد وفكر المدمن (كآبة مخيفة سيطرت عليّ، وانسحبت الألوان من العالم من حولي. في المدرسة، لم يعد لديّ تركيز على الدراسة، ودرجاتي جاءت هذا الأسبوع، كلها تدنت)[٣]، وقد سلطت الرواية الضوء على تأثيرات المخدرات الجسدية منها: فقدان الشهية، النحافة والهزال، وضعف المقاومة للأمراض، وخلل في وظائف الدماغ ضعف الذاكرة وانخفاض في مستوى الذكاء مما يؤدي إلى تراجع المستوى العلمي للطالب، وضعف البصر أو فقدان الرؤية نتيجة تأثير المادة المخدرة في العصب البصري، (لم أتعاطَ منذ أيام. كآبة فظيعة فرّخت بيوضًا طُفيلية في رأسي، وأغلقت منافذ التهوية في أروقة دماغي وقبعت هناك. كآبة تشبه ذلك المخلوق المخيف الذي يتربص بك في الظلام تحت الدرج، ينتظر أن تغفل عينك فيحصد رأسك بمنجله، رجلاي ثقيلتان تجرَّان حذاءً من إسمنت، ورأسي أودُّ لو أطرقه بالجدار، أودُّ في كل لحظة أن أتوقف عن الحياة، لكني في الوقت نفسه أخشى أن أموت فأسبب لمن حولي المزيد من التعاسة)[٤]، ويصف الراوي البطل مَن يتعاطون معه:(أشكالهم تغيرت كما تغيرت أنا. شحوب، عيون متعبة أكتاف منسدلة وبؤس)[٥]، فقدان عدد وظائف الجسم وضعف المناعة كلها نتائج حتمية لتعاطي المخدرات.

لم تغفل الرواية كل ما يشعر به المدمن وما يفكر به ويدفعه للانجرار بهذا الطريق وهو ما تمنحه الجرعة الأولى من التوهم بالسعادة والسلام، إذ يعيش المدمن حالة من الوهم والخيال تجعله يعتقد اعتقادًا زائفًا بأنه يعيش حالة من السعادة والسلام، والحقيقة إنها مجرد أفكار

[١] الزفت الأبيض : ٣٢ .
[٢] الزفت الأبيض : ٤٥ .
[٣] الزفت الأبيض: ١٤٨ .
[٤] الزفت الأبيض : ١٥٠ .
[٥] الزفت الأبيض: ١٧٦ .

وتهيؤات نتيجة الأثر الذي تركته المادة المخدرة في جسمه إذ غيبت مراكز الوعي والإدراك جزئيًا أو كليًا، معتقدًا أنه استطاع بجرعة واحدة حلّ مشكلته، ولكن بعد انسحاب المادة من جسمه يكتشف الحقيقة إن من غاب عن الوجود هو عقله وليس مشكلته وإن تلك الجرعة كانت تذكرة الدخول إلى عالم الإدمان[١]، وهو الشعور ذاته بوهم السعادة الذي عاشه (كنان) إذ يخاطب نفسه:(لحظات السكينة التي قضيتها أراقب السماء، لن يكون من السهل نسيانها. عالم مسالم على بعد حبة!)، لكن بعد جرعات متعددة يكتشف العكس:(كل ذرة تعاطيتها بعد كوب الكولا ذاك كانت محاولة مني كي أعيد تلك التجرِبة، لكن شيئًا لم يكن يشبهها)[٢]، السعادة الزائفة التي يمنحها المخدر هي بداية الإدمان النفسي أي إن احتياجه لتلك المادة اشتياقًا فقط وجسده لا يحتاجه، وهنا يأتي دور الإرادة القوية. كما تستجلي الرواية بوضوح مشاعر ما بعد انتهاء مفعول المخدر:(كنت مرتميًا كدمية على مسرح انقطعت خيطانها فجأة. سيلان في أنفي وجفاف في حلقي وضيق في صدري منعني من التنفُّس. قصباتي تشنجت حتى آخر برعم فيها! الله ينتقم من غالي وبضاعته التي لا يأتي بعدها إلا المصائب! بعد كل صعود جميل، ينتظرني هبوط ساحق وماحق، ورصاص متلاحق)[٣]، كما تشخص الرواية ما يفكر به الشاب وخداعه لنفسه بأن تناوله لجرعات متعددة ومتباعدة لا تجعله مدمنًا: (ما لضرر في أن آخذ المزيد بما أني موجوع؟ لو لم أكن متألمًا لما احتجت إليها. سأقلع عنها أول ما تعود إلي قوتي. ربما لن أحتاج إلى أكثر من حبة واحدة أخرى. حبَّة أخرى فقط. مستحيل أن آخذ أكثر. مستحيل. ستكون هذه حبتي الأخيرة)[٤]؛ لكن العكس حدث، استحوذت الحبات على تفكيره وتغيَّب عن المدرسة يومين فكان كلما يستفيق من حبة تنتابه رغبة في تناول أخرى، وكانت حاجته لها تتعاظم وتقوى[٥]. والكلمات التي يقولها (كنان) في بثّه الأخير وهو واقف على الجسر لينتحر تحمل الثيمة الأساسية للرواية ورسالتها التوعوية :(أصحابي، المتعة التي يجلبها الزفت معه هي متعة أول مرة، لكنها سريعًا ما تقصر حتى تتلاشى. ما يبقى بعد ذلك هو الكآبة والآلام والجريمة. مَن لم يصدِّقني، فليعطِ ظهره للبحر ويمشِ إلى خلف الجبل. سيجد وكر أنصاف الموتى هناك، وأعده أنَّ ما سيراه بعد ذلك سيغير كل ما سمعه. شاركتكم بكل صدق وشفافية جميع ما حصل معي. عندما يعرض أحد

[١] ينظر: مكافحة المخدرات ... واجبنا جميعاً ، العقيد حسان القضاة ، مجلة أردن بلا مخدرات ، مجلة تصدر عن مديرية الأمن العام إدارة مكافحة المخدرات، عمان – الأردن ، العدد ٢٨ ، كانون الأول ٢٠١٩ : ١٠ .
[٢] الزفت الأبيض : ١٧٣ .
[٣] الزفت الأبيض : ١٠٢ .
[٤] الزفت الأبيض : ١٠٣ .
[٥] ينظر: الزفت الأبيض: ١٠٤ .

عليكم المخدِّرات، تذكروا أنكم عند الضوء البرتقالي. لا تفكروا لثانية واحدة. عند اللون الأحمر، قفوا، استديروا، واهربوا. اهربوا بكلِّ ذرَّة أدرينالين في عروقكم. بعد ذلك، ترحَّموا عليّ!)[١].

ومن الرسائل التوعوية للرواية تسليط الضوء على الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لتعاطي المخدرات وكيف تؤثر المخدرات في حياة الشاب وعلى علاقته بعائلته وأصدقائه، فلا يقتصر تأثير المدمن على نفسه وإنما على كل من حوله ولاسيما أسرته، ويصف (كنان) حال والده بعدما اكتشف حقيقة ابنه بأنه متعاطي وسارق:(كبر مئة عام! كتفاه انحنيا، جبينه تغضَّن من الهمّ، ونظرة حيرة ملأت عينيه. رأى بعينيه ابنه يسرقه ويدمر سمعته! المسكين قلبه لم يتحمل!...تمنيت لو ارتميت على قدميه أطلب عفوه، لكني لا أستحق ذلك. يستحق ابنًا خيرًا مني. ليته لم ينجبني!)[٢]، والشعور بالدونية والخجل والندم (أشحت بعيني بعيدًا عن عينيه. ليته يكفُّ عن الفخر بي! لن يكون فخورًا بي لو انكشفت له حياتي في الأيام الأخيرة. ليت بإمكاني أن أشطبها من حياتي وأعود في خط الزمن إلى اللحظة التي دعاني فيها غالي إلى باحة الحافلات، لأختار من جديد! كنت سأقول له : اغرب عن وجهي!)[٣]، وتتكرر الكلمات والعبارات التي يعترف بها (كنان) بشعوره بالخجل والدونية من شخصيته الجديدة:(إني خسيس بما يكفي كي أسرق من صديق عمري)[٤]، و(لست فخورًا بما فعلت)[٥]، و(ليس أتعس مني شخص في الدنيا)[٦]، وبالرغم من شعور المتعاطي بالدونية والخجل لكنه لا يستطيع الرجوع إلى حياته وشخصيته الأولى.

صوَّرت الرواية كيف إن تعاطي المخدرات يؤدي إلى الانتحار، كما إن الإدمان في مرحلة المراهقة يعد من أخطر مراحل عمر الإنسان لما تسببه من فقدان اتزان وتصرفات غريبة وانحرافات في السلوك كالسرقة لشراء المخدرات إذ ثمنها الباهظ يؤدي إلى إفلاس المدمن واستنزاف لأمواله، فقد أدى الإدمان إلى تدهور ونكوص في شخصية (كنان) من شاب ملتزم ومسؤول إلى شخص سارق يسرق أقرب الناس وأحبهم إليه والده وصديقه (قيس)، إذ حرضّه (غالي) على سرقة النقود من محفظة صديقه(قيس)، ومن ثم ينحدر أكثر ليسرق عهدة أبيه من

[١] الزفت الأبيض : ١٩٣ .
[٢] الزفت الأبيض : ١٨٨ – ١٨٩ .
[٣] الزفت الأبيض : ١٠٣ .
[٤] الزفت الأبيض: ١١٠ .
[٥] الزفت الأبيض : ١١١ .
[٦] الزفت الأبيض : ١١٢ .

الإبر المخدِّرة في المستشفى، كل هذا لأنه لم يستطع أن يتحكم بتصرفاته فقد انحرفت شخصيته بسبب إدمانه وكان في كل مرة يُمنِّي نفسه بأنها المرة الأخيرة[١]، والحقيقة إنه طريق منحدر نحو الهاوية.

وتسلط الضوء على أسباب إدمان المراهقين منها غياب الوعي والجهل بخطورة المخدرات نتيجة غياب برامج تثقيفية وإرشادية لاسيما في المدارس، فجهل (كنان) بخطورة المخدرات من أسباب تعاطيه لها:(بضع رشفات من الكوب، هل ستضر؟ حتمًا لن تؤذيني، أنا شاب رياضي طويل عريض، ماذا ستفعل لي بضع رشفات؟)[٢]، وتحدث (كنان) في بثّه عن جهله بها:(تحيرت بين أبحث أكثر في النت عن كل شيء يتعلق بتلك الحبوب قبل أن أثير موضوعها معكم، وبين أن أصاحبكم بعينين ساذجتين في رحلة تعرّفي هذا العالم، فاخترت الخيار الآخر لأن الناس كلها تدخل هذا العالم الغامض مثلي بسذاجة، ودون سابق معرفة أو نية أو قراءة)[٣]، واستمر (كنان) في تلك السذاجة بالتعامل مع كل ما يعطيه له (غالي) فالحبوب البيضاء في الكيس الشفاف التي وضعها في درجه بحجة انها مسكنات للألم بعدما تعرض للضرب من أعضاء الفريق الآخر، لم يكشف له ما اسمها ونوعها لكنه برغم ذلك تناولها[٤]. ومن أسباب انتشار المخدرات هو الكسب المالي السريع وما يفكر به المروج هو المال والربح الوفير فقط ويكشف الحوار بين (كنان) و(غالي) ما يفكر به المروج وتاجر المخدرات:(عجبًا كيف يشعر بالفخر بسمومه! سألته: "ألا تشعر بعذاب الضمير أبدًا؟". قال هل حشرتُ الحبَّة غصبًا في فم أحد؟ كل شخص مسؤول عن تصرفاته. يأتونني تنتابهم الأوجاع، وأنا طبيبهم! إما أن يجعلوا شخصًا غيري ثريًا، وإمَّا أن يجعلوني أنا كذلك. اخترت أن أكون أنا. لون الدولار الأخضر يُشعرني بالأمان، ألا توافقني؟ "لم أوافقه في حرف واحد، لكني لم أجبه بحرف. ربما كان يبحث عن أمان النقود بعد أن فقد أمان الأب، لكن دواعيه لا تعنيني)[٥].

وعلى الرغم من إن لغة الحوار في الرواية فصيحة أو قريب من اللغة الفصحى في بعض الأحيان فإن الكاتبة حرصت أن تكون صياغة لغة الحوار بما يتناسب مع تلك الفئة العمرية ومع

[١] ينظر: الزفت الأبيض : ١٠٦ - ١٠٩ ، ١٦١ – ١٦٥ .
[٢] الزفت الأبيض : ٧٣ .
[٣] الزفت الأبيض : ٨٢ .
[٤] ينظر: الزفت الأبيض : ٩٩- ١٠٠ .
[٥] الزفت الأبيض: ١٧٥ – ١٧٦ .

الشخصيات الأخرى أيضًا، إذ من الضرورة وجود علاقة تبادلية ومترابطة (بين الحوار في لغته ومستواه وطبيعته وطوله أو قصره، وفي بساطته أو تعقده من جهة، وصاحبه المتكلم به بطبيعته وعمره وبيئته وثقافته ومزاجه أو نفسيته وظرفه من جهة ثانية، لتكون النتيجة أن تحس أن كلام الشخصيات –حواراتها– يأتي منها وليس مفروضًا عليها وعلينا من مبدعها)[١]، فمثلًا لغة شخصية الحارس (أبو معروف) كانت مناسبة ومتماهية مع وضعه الاجتماعي والثقافي فقد تميزت لغته ببساطتها وبكثرة الأدعية وكلماته قريبة من اللغة العامية: (واااه! كل هذا الورق على الحيطان؟! ورق مليان كلمات بالإنجليزي! مناسبة في الغد؟ مسابقة ولا احتفال؟ زاهد ما خبرني بشيء!)[٢]ومثلًا رده عندما سأله والد كنان عن ولادة زوجته:(الله يصبحك بأنوار النبي! لسه والله. الله يتمم على خير)[٣]، ولا يحدد الحوار طبيعة الشخصية وثقافتها وإنما أبعادها النفسية والانفعالية، فمثلًا تكشف لغة حوارات والد (كنان) طبيعته الهادئة والمسالمة فبرغم اكتشافه بأنه ابنه مدمن بقيت طبيعته المسالمة وهدوئه في حواره مع ابنه:(صدح صوت بابا يقول: "كنان! كنان يا حبيبي، أين أنت؟!سألت عنك في كل المشافي والمخافر، حتى.. حتى المقابر! أعوذ بالله ! أين ذهبت أفكاري؟!أين أنت؟!" قلت: "أنا آسف! آسف! أنا لا أستحق.." قاطعني: "لا لا لا.. أنا الآسف! لا أدري أين قصّرت! انشغلت عنك بعملي، بصحتي.. لا أدري كيف، لكن..." قلت: "بابا! بابا! توقف! كل ما حدث كان خطئي.. خطئي وحدي". أجابني: "لا تقلق، سنصلح كل شيء")[٤]، فحوار الشخصية وقاموسها اللغوي يكشف عن طبيعتها وبيئتها، إذ تكشف حوارات (قيس) مع (كنان) في مغامرتهم بلصق إعلانات صفحة الفيسبوك، طبيعة شخصيته الملتزمة وتضيء الجانب المعتم أو الغامض من علاقته بأبيه ومدى خوفه منه :(أفكارك ستخرب بيتنا يا كنان! الله يلطف!) و(الله لا يوفقك! تظن أن ورطتي مع بابا مزاح؟!) و(دمي جف من الرعب يا رجل!)[٥] إذ يعيش (قيس) مع والده – بعد وفاة أمه وهو في سن العاشرة –حياة وإن كانت مرفهة وباذخة إلا إنها اتسمت بالصرامة والقسوة إذ يصف (كنان) شخصية صديقه (قيس) :(قيس يبتعد دائمًا عن المتاعب لأن أباه صارم جدًا)[٦]، وتعود صداقة الأثنين إلى عهد الطفولة إذ يصف

[١] مشكلة الحوار في الرواية العربية ، د. نجم عبدالله كاظم ، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ٢٠٠٤: ٧٩
[٢] الزفت الأبيض : ٨ .
[٣] الزفت الأبيض: ٣٨ .
[٤] الزفت الأبيض : ١٩٥ . وينظر: ٣٧ - ٤٦ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ .
[٥] الزفت الأبيض : ٩ .
[٦] الزفت الأبيض : ٨ .

(كنان) علاقتهما:(لمَا أخبرني أن أمّه ماتت أجبته: "أنا أيضًا أمي مسافرة، لكن أموري أنا وبابا بخير دونها. تعال اسكن معنا". قيس لم يسكن معنا. لم يحضر بيجامته وفرشاة أسنانه، ولم ينم يومًا عندنا، لكن عدا عن هذه الأمور الثلاثة، فهو يُعدُّ أحد سكان منزلنا دون خلاف. كتبه تملأ أدراجي وأحذيته تملأ رفوفي، ملابسه تملأ ثلثي خزانتي، سمكته نيمو المخططة بالبرتقالي والأحمر تسبح في حوضها الصغير على مكتبي، حتى شاشة تلفاز غرفته انتقلت حديثًا إلى جدار غرفتي، غير أن تاريخ ميلادنا كان في الشهر نفسه، ولنا البرج نفسه، فقد ولدت في ٢٥ آب، وولد هو في ٢٩ آب)[١]فكلاهما يعاني فقد الأم وبالرغم من حالة (قيس) المادية المرفهة فالاثنان يعيشان الحياة ذاتها ويأكلان الأكل نفسه ويقضيان معظم الوقت معًا لكن (كنان) وقع في المخدرات برغم كل تحذيرات وحرص صديقه (قيس) عليه.

وعلى الرغم من السمة المونولوجية لسرد الأحداث لكن الرواية تميزت بالمرونة في الطرح والانفتاح على الآخر عبر تقنية التعالق النصي وتوظيف مواقع التواصل الاجتماعي لا سيما الفيسبوك كتقنية سردية لتعرض طبيعة شخصيات الشباب واليافعين ووجهات نظرهم تحديدا في قضية المخدرات، فكانت الحوارات متعددة ومتنوعة من ناحية اللغة والرؤية والأفكار، وظفتها كاتبة الرواية لمقاربة اللغة التي يتحدثون بها مما يستدعي زجّ بعض الحوارات باللغة الانكليزية أو اللغة التي يكتب بها الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي وهي لغة (فرانكو أراب) أي أن يكتبوا العربية أو اللهجة العامية بالحروف الانكليزية واستخدام الأرقام اللاتينية للوصول إلى بعض الحروف العربية غير الموجودة في اللغة الانكليزية مثل:(w sho sar ba3den?)[٢]، لتبدو أكثر واقعية لإغناء الأبعاد الفكرية والثقافية والاجتماعية للشخصيات لاسيما كونها شخصيات فتية ويافعة عادة ما يستعملون اللغة الانجليزية في حواراتهم وكتاباتهم وحتى في اختياراتهم للأغاني، وكذلك الإعلان عن قناة الفيسبوك كُتِب بطريقة كتابة الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي، فضلًا عن إنها توضح مستوى التعليم والمهارات اللغوية للشباب فهم يجيدون اللغة الإنجليزية:

(Are u youn?

Do u have a lot to say , but no one ever listens?

[١] الزفت الأبيض : ٥٢ – ٥٣ .
[٢] الزفت الأبيض: ٥٧ .

Follow facebook page Burtukali –Ahmar,

This evening , 07:00 PM".)[1]

وتكشف الملصقات عن أهم مشكلات الشباب والمراهقين وهي الدافع لإنشاء صفحة الفيسبوك (هل لديك الكثير لتقوله، لكن لا أحد يستمع أبدًا؟) التعبير عن أنفسهم وعن التحديات التي تواجههم.

يعد توظيف تقنية البث المباشر وتعليقات المتابعين من الشباب في الفيسبوك[2] توظيفًا ذكيًا لتعددية الأصوات السردية الذي يحل محل الحوار التقليدي في الرواية، وهو أمر قد لا نجده كثيرًا في الأدب الموجه للفتيان والناشئة فهي دعوة للمواجهة والاعتراف بهذه الأصوات والرؤى المتعددة بدلًا من تغييبها أو التظاهر بعدم وجودها، ففي كل بث ثمة تعددية وآراء وأصوات متعددة ولكل صوت لغته الخاصة، وهي في الرواية كثيرة وطويلة لما تعطيه من قيمة فنية وفكرية للنص ففي كل مرة ينزلق (كنان) في طريق المخدرات يشارك متابعيه ببث مباشر ويعترف بخطئه ويسمع لآرائهم التي تعكس الجوانب الفكرية والعمرية والاجتماعية لكل متحدث، فمثلًا عندما تحدث (كنان) عن الممنوعات وعن تجربته لها جاءت التعليقات متعددة الرؤى:

(– هل استمتعت ؟

–side effects?

– هل تنصحنا بها؟

– أنت غبي! مجنون!

– ومجرم أيضًا!

– I do it all weekends. Sometimes weekedays , too.

أجبتهم ""هل استمتعت؟ نعم. ما الآثار الجانبية ؟ إحباط في اليوم الثاني، اكتئاب، قلة القابلية تشتت الذهن. هل أنا غبي؟ بالطبع كان قرارًا غبيًا مني، وخيارًا خاطئًا اخترته. هل أنت مجنون؟

[1] الزفت الأبيض : ٧ .
[2] ينظر: الزفت الأبيض : ٢٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

لست متأكدًا، لكن حتمًا كان تصرفي مجنونًا. هل أنت مجرم؟ لا، لست مجرمًا ؛ أنا لم أؤذ أحدًا. المجرم هو من يؤذي الآخرين، وأمس في السهرة كنا مسالمين...تعليق من (أميرة القلوب) قالت فيه :"المتعاطون يؤذون مَن حولهم دائمًا. أنت ترشُّ على الموت سكَّرًا" أجبت: "أميرة القلوب "بالطبع، المتعاطون ينزلقون نحو الإجرام، أنا أؤيدك بالكامل. لكن أظن أن تعاطي مواد أخرى من الممنوعات هو ما يسبب ذلك. لا أدري هل الحبوب التي تناولتها أمس يمكن أن تصل بصاحبها إلى الإجرام أم لا.

أظن أن السؤال الذي يلح عليَّ، وعليَّ أن أجد جوابه، هو: هل أستطيع أن أخوض مثل تلك المغامرة على أوقات متباعدة؟ مثلًا كلَّ شهرين أو ثلاثة، هل أستطيع أن أُبقي تلك الأمور تحت السيطرة؟ سأشارككم الإجابات أول حصولي عليها. شكرًا لاستماعكم". (ناظر المدرسة) كتب: "البروفيسور هنري من مشفى سانت ماري في لندن، أفاد بأن التعاطي لمرة واحدة يمكن أحيانًا أن يسبب إدمانًا مدى الحياة. أكثر من مرّة يؤدي إلى الإدمان حتمًا")[1] والنص طويل لكن من الصعب اقتطاعه لبيان تعددية الأصوات، وهذه النقاشات في بث الفيسبوك في الرواية منحتها تعددية في الأصوات[2]، فلو كانت هذه الآراء مطروحة في الرواية من لدن الراوي العليم أو شخصية بالغة لاتخذت شكل الموعظة والتوجيه وهو ما لا ينفع في العمل الروائي، بل جاءت استجابة واعية للواقع وطبيعة الفئة العمرية لتلك الشخصيات ومراعاة للغتها وطبيعتها ومستواها وتعبيراتها وقاموسها إذ لابد من أن يبين الحوار ويكشف عن طبيعة الشخصية وعمرها وطبقتها الاجتماعية ومهنتها وأخلاقها.

كما وظفت الكاتبة الأغاني الغربية وأغاني الراب العربية للتماهي مع طبيعة الشخصيات الفتية التي تميل إلى هكذا لون من الأغاني إذ يميل (كنان) وصديقه (قيس) لسماع الأغاني الشبابية الغربية من مذياع السيارة في ذهابهم وإيابهم من المدرسة مع وجود والده الذي أصبح مع كثرة سماعه لتلك الأغاني يحفظها معهم[3]، وتؤدي الأغاني وظيفة دلالية في السرد فمثلًا تناص أغنية (ريكي مارتن) (Maria) التي غناها في المونديال الفرنسي له دلالته في السرد تعبيرًا عن أهمية فوز فريق المدرسة على فريق الأشبال هذا الفوز كان تحديًا لـ(كنان) وللفريق ككل، يقول

[1] الزفت الأبيض : ٨٢ -٨٤ .
[2] ينظر: الزفت الأبيض : ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٩٢ .
[3] ينظر: الزفت الأبيض : ١١ ، ٣٧ .

الراوي البطل:(كانت أغنية ريكي مارتين:Maria التي غناها في المونديال الفرنسي تصدح بين جوانب الكافيتيريا:

Un,Dos,Tres

Un pasito palante Mariai"

أول مرَّة نسمع هذه الأغنية في الكافيتيريا ! نظرت بشكل لا شعوري باتجاه العمّ عماد مسؤول الكافيتيريا، فوجدته يرفع إبهاميه لي مهنِّئًا. الأغنية كانت هدية منه)[1]، وتعالقت الرواية نصيًا مع أغنيات الراب للفنان (أحمد مكي) في مواضع عدة وكانت تؤدي في كل مرة وظيفة دلالية في السرد فقد كانت تدور كلماتها حول وقوع الشباب في فخ المخدرات وكيف يُغرر بهم مروجو هذا السم ووجودها في الرواية كان متماهيًا مع سن بطل الرواية وشخصياتها ومع رسالتها التوعوية ومع ذوق هذه الفئة العمرية من الأغاني، فمن المواضع التي تناصت بها الأغنية كانت على شكل تعليق كتبه (قيس) على البثّ المباشر عندما اعترف (كنان) بتعاطيه للمخدرات:(جاءني تعليق أخير من (قيس القيسي)! قرأته كان فيه:

"(قال لي ما تخافش؛ مش ممكن تدمن من أول شكَّة

أقنعني وبالليل فعلًا شكَّيت لي أول شكَّة

مفاصلي ساحت وارتاحت، وروحي راحت

كل مشكلة في الدنيا عندي ماتت وتاهت)..

من كلمات أغنية لأحمد مكي. شاهدها"

أنهيت البث والتفتُّ نحو قيس فلم أجده.. لقد غادر دون أن أشعر به!)[2] غضب (قيس) من صديقه(كنان) بسبب تعاطيه المخدرات منعه من الكلام معه مباشرة كتب له كلمات الأغنية بالتعليقات لأنها تضمنت كل ما يريد قوله، والأغنية نفسها ترد ضمن السرد لكن بمقطع آخر

[1] الزفت الأبيض : ٨٠ ، وينظر: ٨١ .
[2] الزفت الأبيض : ٨٤ .

وكلمات أُخر تتردد في دماغ (كنان)[١]، كما ورد مقطع من الأغنية على لسان (غالي) ردًّا على قول (كنان):(لن آخذ منك شيئًا بعد الآن)[٢]، فبدأ يتراقص (غالي) على قدميه ويدندن: (وتاني يوم في معاد الضرب

جسمي تكهرب

عاوز أضرب

منين أجيب فلوس؟

بدأت أستلف من كل اللي أعرفه وأدوس

بسرق يوماتي من البيت، وكلُّه شكّ فيّ)[٣] وكان تأثير كلمات الأغنية أبلغ في السرد إذ يصف (كنان) تأثيرها عليه:(كلمات أغنيته اخترقت فتحة أذني مثل قطع نقود في آلة للقمار، سقطت بحافات خشنة على أعصابي العارية. قال ما قاله وأسرع مبتعدًا. في الصف، لم أستطع التركيز. اللعنة عليه! ما هذه الفكرة التي زرعها في مخيلتي؟ أسرق من قيس؟! هذا ما كان ينقصني)[٤]ولا تحمل أغنية الراب هذه ثيمة الرواية فحسب وإنما تتناص مع تحولات الشخصية عبر رحلة التعاطي فعند كل تحول أو مرحلة من مراحل النكوص والتدهور في شخصية (كنان) نجد كلمات الأغنية في مكانها وتسلسلها السردي الصحيح، فعندما وصل إلى مرحلة سرقة عهدة والده من إبر التخدير في المستشفى (حتى وقت قريب، كنت مستعدًا أن أغرز أظافري وأنهش بأسناني ذلك الحقير الذي كان يسرق الإبر من خزانة بابا ويسبب له كلَّ هذا الحزن، والآن صرت أنا نفسي ذلك الحقير الذي ينوي أن يسرق الإبر. ليتني متُّ يومها على طاولة غرف الإسعاف، ولم يأتِ ذلك اليوم الذي أفعل فيه ما أفعله الآن! من مكبر صوت يتدلى من مرآة الحافلة، تشابك مع أسلاكه ورد بلاستيكي، خرج صوت أحمد مكّي مرّة أخرى يقول:

"نزلت بعت كلّ حاجة جات لي في يوم هدية

خلصت فلوس لحدّ في يوم ما جاتني فكرة هي هي

[١] ينظر: الزفت الأبيض : ١٠٢ .
[٢] الزفت الأبيض : ١٠٧ .
[٣] الزفت الأبيض: ١٠٧ .
[٤] الزفت الأبيض :١٠٧ .

ذهب أمي، موبايل أختي، ولا بتوب أخوي

سرقتهم، نزلت أهرب من البيت.. وقّفني أبوي!

أمي بكت بحرقة قدَّامي

رمت لي فلوس وبصوت عالي:

ما أشوفش وشّك تاني!"

لماذا تلاحقني تلك الأغنية الكريهة أينما ذهبت؟!)[١]، فكانت كلماتها تؤدي وظيفتها السردية الدلالية مع تطور الأحداث[٢].

الأحداث

ابتعدت الرواية عن المغامرات الخيالية والفانتازيا التي يتميز بها أدب الفتيان فأحداث الرواية تميل للواقعية الأدبية، وتبدأ أحداث الرواية من مكان المدرسة وقت انتهاء الدوام وتخفي (كنان) وصديقه (قيس) في الحمامات لكي ينفذوا خطتهم بلصق إعلانات الترويج لصفحة (كنان) الجديدة على الفيسبوك التي تحمل اسم (برتقالي –أحمر) أنشأها لكونه يخطط بأن يصبح إعلاميًا ناجحًا ويبحث فيها الموضوعات الشبابية ويطرح كل ما يهم الشباب وما يواجههم من مشكلات وتحديات، وتعد نقطة البداية التي بدأت منها أحداث الرواية عتبة بداية مقنعة ومثيرة للقارئ اليافع والشاب ونقطة إثارة لفضوله لمتابعة الأحداث لما تضمنته من مغامرة ومخاطرة قام بها الشابان للصق ملصقات إعلان صفحة (برتقالي– أحمر).

تمثل المدرسة نظامًا اجتماعيًا بالغ الأهمية عبر شبكة العلاقات بين الطلبة أنفسهم وبينهم وبين المعلمين والإدارة، إذ توفر للطالب ظروفًا نفسية واجتماعية يعيد معها رسم ملامح شخصيته وهويته الاجتماعية والثقافية ليكون صورة جديدة لذاته[٣]، وكاتبة الرواية انطلقت من هذه الرؤية المؤمنة بدور المدرسة كنسق مؤسسي اجتماعي تربوي تعليمي في بناء وتوجيه سلوك النشء واليافعين، فقد كان الحدث الأهم في الرواية وبداية الصراع في المدرسة، عندما تسلم

[١] الزفت الأبيض : ١٦١ – ١٦٢ .
[٢] ينظر: الزفت الأبيض : ١٨٣ .
[٣] ينظر: دور المدرسة في مكافحة الإدمان على تعاطي المخدرات ، حارث صاحب محسن ، بشرى عبد الرحيم ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ع ٧٧، ٢٠٠٧ : ٣٠٢ .

(كنان) ورقة رسوبه في مادة الفيزياء التي كانت تشكل لديه عقدة دراسية وكان من شروط اشتراكه في مباريات كرة القدم التي تخوضها المدرسة هو نجاحه في كل الدروس وإلا سيحرم من اللعب وقيادة فريق المدرسة وهذا يعني الخسارة كون (كنان) اللاعب الرئيس في الفريق[١]، كان لغضب (كنان) وانهياره هو تعلقه الشديد بكرة القدم وشعوره بالمسؤولية تجاه فريق مدرسته الذي سيحرمه رسوبه في مادة الفيزياء من أداء المباراة:(كيف سيفوز فريقنا دوني ؟! أنا لاعب المقدمة الرئيسي في الفريق ! وكل تلك الاستراتيجيات الثنائية التي تدربت عليها مع قيس، هل ذهبت سُدًى ؟! أمسيات طويلة صارت فيها ملابسنا تعتصر عرقًا، وركبُنا مليئة بالجروح، وأحذيتنا فُتِحت أفواهها!)[٢]، كان لفورة الغضب واليأس التي انتابت (كنان) أن يستغلها زميله (غالي) مروج المخدرات في المدرسة ليعرض عليه سيجارة بحجة تهدئته: (أنت غاضب وتسعى نحو المشكلات. خذ نفسًا واحدًا.. السيجارة لن تقتلك ستهدأ أعصابك فورًا، وسنجد حلًّا)[٣]، إذ نلاحظ ضعف دور المدرسة في الرواية إذ كان (غالي) يروج المخدرات داخل المدرسة ويشرب السيجار عند موقف الباصات في ساحة المدرسة بكل ارتياح وثقة بأن لا أحد يراقبه ويكشفه وهو ما نجده في الحوار بينه وبين (كنان) : (خرجنا من المبنى واتجهنا بخفة نحو باحة الحافلات. الغيوم من جهة البحر تشابكت، وظلالها على الأرض أسرعت معنا تحذو حذونا. دلفنا إلى الباحة التي اصطفت فيها الحافلات، وهناك اندسسنا بين أول حافلتين واقفتين..... أعاد السيجارة إليَّ وقال :" حسنًا، المدرب نوري ليس معنا الآن، وأنا عليَّ أن أعلمك كيف تدخن. شاب ولا تعرف كيف تسحب نفسًا؟ عيب!". أجبته: "لن أدخن؛ قد يأتي أحد ويمسك بنا. مشكلة الرسوب. اسمع، من الأفضل أن نعود إلى الصف". التفتُ أود الرحيل، لكنه أمسك بمعصمي وقال :"أنا أدخن هنا كل يوم، ولا أحد يأتي أبدًا. أعدك ألف مرة ! السائقون كلهم يمضون اليوم في غرفتهم. كيف تقدر أن تمضي سبع حصص من دون سيجارة يا رجل؟!")[٤]، وتوضح الرواية كيف إن ضغط الأقران واستغلال المروجين منهم لنقاط الضعف والمشكلات التي تواجه الشاب للدخول عبرها وإيقاعه في فخ المخدرات، أو محاولة تقليدهم في خوض تجارب جديدة هي من أكثر الأسباب التي تدفع الشباب للإدمان، وهو ما فعله (غالي) مع (كنان) عندما استغل ثورة وغضبه وأعطاه سيجارة بحجة تهدئته واستغل ضعفه ويأسه من إعادة الامتحان فعرض عليه مساعدته في إقناع أستاذ

[١] ينظر: الزفت الأبيض : ٢٦ – ٢٧ .
[٢] الزفت الأبيض : ٢٧ .
[٣] الزفت الأبيض : ٢٩ .
[٤] الزفت الأبيض : ٣٠ .

الفيزياء بإعادة الامتحان من خلال تزويره لورقة إجازة مرضية تثبت بأن (كنان) راقدًا في المستشفى وعليها ختم والدة (غالي) الطبيبة، ومن ثم وضعه لقارورة من المنشطات في حقيبة (كنان) لتساعده على التركيز والحفظ، فضلًا عن مساعدته في الامتحان وإعطائه الحلول الصحيحة، وبعد نجاح (قيس) في الامتحان وخوضه للمباراة وفوز فريق المدرسة كان مدينًا لـ(غالي) برد الجميل وهذا ما كان يخطط له منذ البداية فكان طلب غالي هو حضور (كنان) الحفلة التي سيقيمها (غالي)[1]، كل هذه الأحداث تجسيد فني لضغط الأقران وما يتعرض له الشاب والمراهق في المدرسة أو خارجها، ورسالة توعوية شديدة اللهجة للانتباه إلى استغلال تجار المخدرات للمدارس لترويج سمومهم من خلال تجنيد بعض الطلبة مروجين لسمومهم، يقول (كنان) في أحد بثوثه :(كنت أظن أن مروجي المخدرات يتوارون في بقع مظلمة عند نواصي الطرق، يقبعون بانتظار المدمنين أن يسعوا إليهم، لكن تبيَّن لي غير ذلك. بعض المروجين يأتون على شكل طالب بحذاء صغير، يجلس على بعد مقاعد قليلة منك، ويدَّعي أن في جيبه حلولًا لكل مشكلاتك! النقود في جيبك هو كل ما يراه منك. وكي تسدد حسابه، سيدفعك إلى فعل أي شيء)[2].

جاءت أحداث الرواية على نسق تتابعي تشويقي تصاعدي ممتع، وإن كان في بعض المرات تواتري عندما يقوم الراوي البطل بإعادة سرد الأحداث في بثّه المباشر على صفحة الفيسبوك ولكن بطريقة مختلفة تتخللها التعليقات والحوارات بينه وبين متابعيه، وهذا التتابع في الأحداث وإن كان مساره متوقعًا لأن طريق الجرعة الأولى هو طريق لا رجعة منه فإن طريقة الراوي في السرد كانت تشويقية يشعر معها القارئ بالتوتر كلما كانت الأحداث تسير نحو انجرار البطل في هذا الطريق، وكأن الرواية تضع كاميرا جريئة على كتف شاب واعد (كنان) وتنتقل معه من حياة كانت طبيعية وهادئة وصداقات جميلة وحلم وتخطيط بالنجومية، ثم تنحدر معه شيئا فشيئا مع كل مرة يتعاطى فيها إلى أدنى مستوى ممكن أن تصله البشرية، وذلك عندما ترافقه في (وكر أنصاف الموتى) ذلك المكان الذي يقع خلف الجبل، اصطحب (غالي) (كنان) إليه بعدما سرقوا الإبر المخدرة من المستشفى ليبيعوها هناك، المكان عبارة عن أكواخ من الطوب العاري مكان كأنه قبر مفتوح له روائح كريهة يعيش فيه المدمنون أنصاف الموتى، ويصف

[1] ينظر: الزفت الأبيض : ٢٨ – ٥٠ ، ٦٣ .
[2] الزفت الأبيض : ١١١ .

الراوي (كنان) هذا المكان:(أكوام من البشر ارتمت على الأرض، تتناثر بينهم مئات القوارير الزجاجية المهشَّمة، بعضهم يجلس ينتف شعره أو يهزُّ جذْعه، أما الباقون فتمددوا دون حراك. منهم مَن التحف بقطعة كرتون، وأكثرهم تدثَّروا بأكياس قُمامة سوداء مهلهلة..... تصفَّحت الأجساد نصف العارية، ملابسهم ممزقة تبدي أكثر ممَّا تستر، وجوههم ملطخة بكل ألوان البؤس، أسنانهم تساقطت، رؤوسهم صلع كرأسي، أنوف بعضهم تسيل، في حين أن البعض الآخر عنده بدل الأنف فتحات مشوَّهة، ثم على كل الوجوه تناثرت بثور وبثور وبثور وبثور.... رجل استند إلى جدار الزريبة من الخارج كان يشد حزامه حول ساعده، وتبزغ من كفه إبرة..... سمعنا صوت ارتطام خلفنا فالتفتُّ، فرأيت الشخص الذي كان يربط حزامه قد ارتمى أرضًا وإبرة تسبح فيها خثرات دموية تعلقت في ذراعه. عيناه ابيضتا وفمه فغر، وبدا جليًا أنه مات...أكثر مدمني الإبر يموتون بجرعة زائدة، ويقيني أنهم لن يفتقدهم أحد. قلت لغالي: "هذه آخر مرة آتي هنا" ضحك غالي ونظر في عيني وقال: "كنان، ألا تفهم؟ هذا المكان هنا، مأوانا الأخير!")[1]هذا المشهد يعري عالم المخدرات على حقيقته للجيل الجديد بأن نهاية هذا الطريق هو العيش مع أنصاف الموتى أو الموت بجرعة زائدة.

وما تعرضه الرواية من نكوص في توالي الأحداث بوقوع الطفل (مهند) في شرك المخدرات صاحب الأعوام العشرة هو جرس إنذار للمدرسة والأسرة والمجتمع بأن الأطفال الصغار هم ليسوا بمنأى عن هذا السم ؛ بسبب الاختلاط مع رفاق السوء وتقليد الأطفال لمن هم أكبر منهم سنًا. (مهند) الصغير التلميذ في المدرسة الذي يحب قيسًا ويعدّه مثله الأعلى في البطولة بسبب براعة قيس بكرة القدم وما يملكه من جسم رياضي مفتول العضلات[2]، جاء يطلب من (كنان) و(غالي) حبوبًا تجعله قويًا بعدما سمعهم ورآهم يبيعون حبوبًا منشطة لبعض أعضاء الفريق، فلم يستطع (كنان) برغم حبه وخوفه على الطفل (مهند) أن يمنع (غالي) من أن يبيعه الحبوب بسبب ما وعده من جرعة مجانية، لولا انقاذ (قيس) للطفل (مهند) وسحب الحبوب منه (هذا سُمّ ! سُمّ! سمووووووم! من يقول لك غير هذا هو شخص يكذب عليك، يخدعك، حرامي يريد مالك، يريد أن يقتلك!)[3]، وهذا الحدث بما يحمله من رسالة توعوية للأهل والأبناء ليس مجرد سرد متخيل وإنما له سياقاته ومرجعياته الواقعية، وهو ما أظهرته الأبحاث فضلًا عما تم

[1] الزفت الأبيض : ١٦٩ – ١٧٢ .
[2] ينظر: الزفت الأبيض : ٨٨ .
[3] الزفت الأبيض : ١٥٨ .

تسجيله من حالات تعاطي المخدرات بين تلاميذ لا تتجاوز أعمارهم العشر سنوات في المدارس العربية وبعد التحقيق في الموضوع تبين أن جهات تعمل على نشر المخدرات داخل المدارس من خلال بعض الطلبة[١].

سلطت أحداث الرواية الضوء على دور وسائل التواصل الاجتماعي للترويج للمخدرات وإنها قد تكون منافذ رئيسة لبيع المخدرات، فمن خلال أحد البثوث المباشرة التي كان يحكي تجربته في عالم المخدرات ظهرت تعليقات لبعض الشباب تسأله عن الموزع أو المروج الذي يشتري منه المخدرات ليجبره (غالي) للترويج لهم مقابل جرعة مجانية فقد استغل كون (كنان) شخصية مؤثرة في مواقع التواصل الاجتماعي (لماذا باعتقادك قدمت لك الجرعات المجانية بالذات؟ لسبب بسيط : لأن لديك تأثيرًا في جمهورك، الكل يستمع لك. الترويج سهل عليك، والآن حان الوقت كي تستفيد من شخصيتك المحبَّبة. أقدم لك طريقًا مختصرًا نحو عالم المال والأعمال)[٢]، وهو ما كشفه تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات لعام ٢٠٢٣، إذ جاء في التقرير(يمكن أن تبدأ عملية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لشراء المخدرات ببحث المشتري عن الوسمات (الهاشتاغ) المرتبطة بالمخدرات أو بمتابعة صفحات شخصية تعلن عن بيع المخدرات من خلال استخدام صور للمنتجات ومقاطع فيديو لها أو توصيفات أو وسمات أو رموز إيموجي على منشورات ذات صلة. ويستطيع المشترون الاتصال ببائع قريب منهم، ويكشف لهم ذلك البائع بعدئذ عن بيانات الاتصال به،..... وفي العادة يجري التبادل النهائي للأموال مقابل المخدرات وجهًا لوجه على المستوى المحلي وذلك بلقاء في مكان عام أو عند التوصيل إلى المنزل، وفي غضون ساعة واحدة في أغلب الأحيان..... وينتشر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لشراء المخدرات بشكل أكبر بين المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ١٧ سنة)[٣].

وكان دور النهاية مهمًا في إيصال الرسالة التوعوية كونها جاءت منطقية ونتيجة طبيعية لسلوك البطل واندفاعه في طريق المخدرات، وهي فقدان الأهل والأصدقاء ودمار العائلة وتكون نهاية هذا الطريق إما الانتحار أو العلاج في مصحة خاصة أو أن يبقى إلى أن يقتله السم كما

[١] ينظر: مكافحة المخدرات بالأدب ..وثقافة الناشئة واليافعين ، حصة بنت عبدالعزيز ، إعداد : مضاوي القويضي ، ١ يونيو ٢٠٢٣ https://fargad.sa/?p=24736https://fargad.sa/?p=24736 تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٨/٢٩

[٢] الزفت الأبيض : ١٥٣ .

[٣] تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات ، الأمم المتحدة ، ٢٠٢٣ : ٧ .

في وكر أنصاف الموتى وكر المتعاطين، ونهاية أحداث الرواية فقد البطل صديقه الذي جاء لينقذ حياته بعد شربه من الكولا المغشوشة بالمخدرات ليفقد توازنه ويسقط من الشرفة وينتهي به الحال بالعناية المركزة بسبب نزيف بالدماغ[١]، وتعرض والد كنان لأزمة قلبية دخل على أثرها المستشفى، والمفاجأة أو المفارقة التي كانت في نهاية الأحداث هي اكتشاف (كنان) بأن (رجل الثلج) تاجر المخدرات الكبير الذي تبحث عنه الشرطة هو والد (قيس) كانت مفاجأة صادمة لتتضح سبب خوفه الزائد على ابنه قيس من السموم التي كان هو بنفسه ينفثها والمال الغزير الذي كان يغمر ابنه به[٢]. ليكتب (كنان) رسالة إلى الشرطة يبلغ بها عن رجل الثلج وعن غالي[٣].

حين تكون الرواية موجهة للمراهقين الكبار أو صغار الراشدين فإن معاييرها الفنية والموضوعية تقترب من رواية الكبار، التي يُفضل فيها النهايات المفتوحة وتجنب النهايات السعيدة والجيدة ؛ لأنهم فضلًا عن وعيهم وإدراكهم لا يحبون التقييد ولديهم رغبة في الانعتاق والاستقلالية والاعتماد على النفس[٤]. فكان لاعتماد الرواية أسلوب النهاية المفتوحة أو الاختيارية فعندما أنقذت (رانية) (كنان) من الانتحار ردًّا لجميله عليها عندما أنقذها من الوقوع في فخ المخدرات لتأخذه بعدها إلى مركز علاج الإدمان ويبدأ مرحلة العلاج، وبعد اسبوع يحاول الخروج من المركز بصحبة أبيه ليطمئن على صديقه(قيس) فيكون جواب الطبيبة بأن العلاج والتشافي من الإدمان هو مواجهة المغريات:(كلُّ ما مرّ بك هنا في المركز هو القسم السهل من رحلة علاجك. هنا كنت محميًا، لا مغريات، ولا قلق. التحدي الحقيقي هناك، في العالم الخارجي، سبعة من كل عشرة مدمنين يعودون إلى التعاطي بعد خروجهم من مركز العلاج، فهل تكون أنت من الثلاثة الذين يصمدون؟ هل تبقى نظيفًا مدى الحياة؟)[٥] وبروتوكول العلاج في المصحة يعمل على فكرة ثمّة في الحياة ما يستحق التفكير، والنهاية يرسمها القارئ فلك أيها الفتى والشاب أن تختار طريق البطل وتجرب ما فعله، ولك أن تبتعد وأن لا تضعف أمام التحديات، وإن وقعْتَ فَلَك أن تكمل علاجك وتؤمن بأن في الحياة ما يستحق، أو تذهب بطريق لا رجعة فيه.

الخاتمة

[١] ينظر: الزفت الأبيض: ١٨١ – ١٨٤ .
[٢] ينظر: الزفت الأبيض : ١٨٧ -١٨٨ . وينظر: ٩٨ ، ١٣٣ ، -١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٥ – ١٤٦ .
[٣] ينظر: الزفت الأبيض : ١٨٨ .
[٤] ينظر: رواية الفتيان : ٦٧ .
[٥] الزفت الأبيض: ٢١٢ .

من خطورة المخدرات وأهمية مواجهتها تأتي أهمية كل عمل بحثي وإبداعي يتخذ من قضية المخدرات ثيمة أساسية له، ولكل عمل أدبي لاسيما الرواية لكي يكون ناجحًا وعظيمًا لابد له من أن يقدم ويروج لقيمة أو فكرة أو رسالة ولا تنفصل هذه الرسالة ولا يتم التعبير عنها دون العناصر السردية، فما يحدد قيمة الرسالة التوعوية هو الطريقة الفنية التي تقدم بها. وتؤدي رواية (الزفت الأبيض) عبر عناصرها السردية من عتبات نصية وشخصيات وأحداث، دورًا محوريًا في التثقيف والتوعية من مخاطر المخدرات بالكشف عن أسبابها وأبعادها وآثارها النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية على الفرد وعلى أسرته وعلاقته بأصدقائه عبر شخصية البطل (كنان) إذ رصدت الرواية تحولات الشخصية ونكوصها وتدهورها عبر رحلة تعاطيها المخدرات. فقد نجحت الرواية في نسج وتقمص شخصية الفتى الشاب بحرفية، والتحدث بلسانها والتعبير عمّا يجول في تفكيرها والخوض في اهتماماتها واحتياجاتها والموضوعات التي تدخل ضمن نطاق تجاربها أو ترتبط في وجدانها عبر منحها سلطة سردية لتروي أحداث الرواية.

التوصيات

١. ضرورة تحفيز الأدباء لكتابة روايات تعري عالم المخدرات، موجهة للشباب اليافعين والنشء عبر تسهيل نشر الأعمال وتوزيعها والترويج لها إعلاميًا، وتخصيص جوائز لها، وكل ذلك يحتاج إلى خطط وطنية مؤسساتية، لأننا لا نحظى برواية في يد يافع دون جهد الكاتب، ودعم دور النشر، والمؤسسات الوطنية والأكاديمية والقارئ.
٢. تحويل الروايات التي تتناول مكافحة المخدرات إلى أعمال تلفزيونية أو سينمائية.
٣. ضرورة وجود منصات الكترونية خاصة بأدب الفتيان واليافعين والكبار، ومعارض كتاب الكترونية.

المصادر والمراجع

١. تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات، الأمم المتحدة، ٢٠٢٣.
٢. تعاطي وإدمان المخدرات وتأثيرهما على تحقيق أهداف وبرامج التنمية المستدامة: دراسة ميدانية على عينة من شباب محافظة سوهاج، د. حمدي أحمد عمر علي، مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي، ع ٥٥، ابريل ٢٠٢٢.
٣. دور العلاقات العامة في الحد من انتشار المخدرات من وجهة نظر العاملين في إدارة مكافحة المخدرات الأردنية، سالم خالد عابد المعايطة، رسالة ماجستير، كلية الإعلام – جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١.
٤. دور المدرسة في مكافحة الإدمان على تعاطي المخدرات، حارث صاحب محسن، بشرى عبد الرحيم، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ٧٧، ٢٠٠٧.

٥. رواية الفتيان :خصائص الفن والموضوعات، د. نجم عبدالله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٤.
٦. رواية الفتيان في الأردن، موسى أبو رياش، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، العدد ٤٢٢، آذار ٢٠٢٤.
٧. الرواية والقيم، الدكتور لطيف زيتوني، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١، أيار ٢٠١٨.
٨. الزفت الأبيض، ماريا دعدوش، دار الياسمين للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٢، ٢٠٢٢.
٩. في نظرية الأدب، د. شكري عزيز الماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٥.
١٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور ت٧١١هـ، الحاشية لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤١٤ هـ.
١١. المخدرات، أسبابها، انتشارها، الوقاية منها، هناء نزار أنشاصي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠١.
١٢. المخدرات أضرارها وأسباب انتشارها، صالح السعد، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧.
١٣. المخدرات والإدمان : الآثار والمضاعفات.. وخطوات العلاج، د. طالب حسن أبو اربيحة، مجلة أردن بلا مخدرات، مجلة تصدر عن مديرية الأمن العام إدارة مكافحة المخدرات، عمان – الأردن، العدد ٢٨، كانون الأول ٢٠١٩.
١٤. مشكلة الحوار في الرواية العربية، د. نجم عبدالله كاظم، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.
١٥. مكافحة المخدرات... واجبنا جميعًا، العقيد حسان القضاة، مجلة أردن بلا مخدرات، مجلة تصدر عن مديرية الأمن العام إدارة مكافحة المخدرات، عمان – الأردن، العدد ٢٨، كانون الأول ٢٠١٩.
١٦. - مكافحة المخدرات بالأدب..وثقافة الناشئة واليافعين، حصة بنت عبدالعزيز، إعداد : مضاوي القويضي، ١ يونيو ٢٠٢٣ https://fargad.sa/?p=24736https://fargad.sa/?p=24736 تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٨/٢٩.
١٧. منصات دعم أدب الفتيان / الفتيات في الأردن، هيا صالح، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، العدد ٤٢٢، آذار ٢٠٢٤.
١٨. نظرية الأدب، رينيه ويليك، اوستن وارين، ترجمة: محيي الدين صبحي، الدكتور حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطرابيشي، ط٣، ١٩٧٢.
١٩. https://www.arabdict.com/m/results?lang=ar&dict=ar&q=%D8%B2%D9%81%D8%AA تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٩/٣
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%81%D8%AA/٩/٣ تاريخ الدخول

مجلة السلام الجامعة
للعلوم الانسانية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

AL-SALAM UNIVERSITY COLLEGE JOURNAL

NO. 18

ISSN (2522 – 3402)

December
A.H 1446 - A.D 2024

Registration No. at the House
Of books and documents:
(2127) - year (2015)

مكتبة مرمر
موبايل : ٠٧٧٠٤٢٥٠٩٠٧